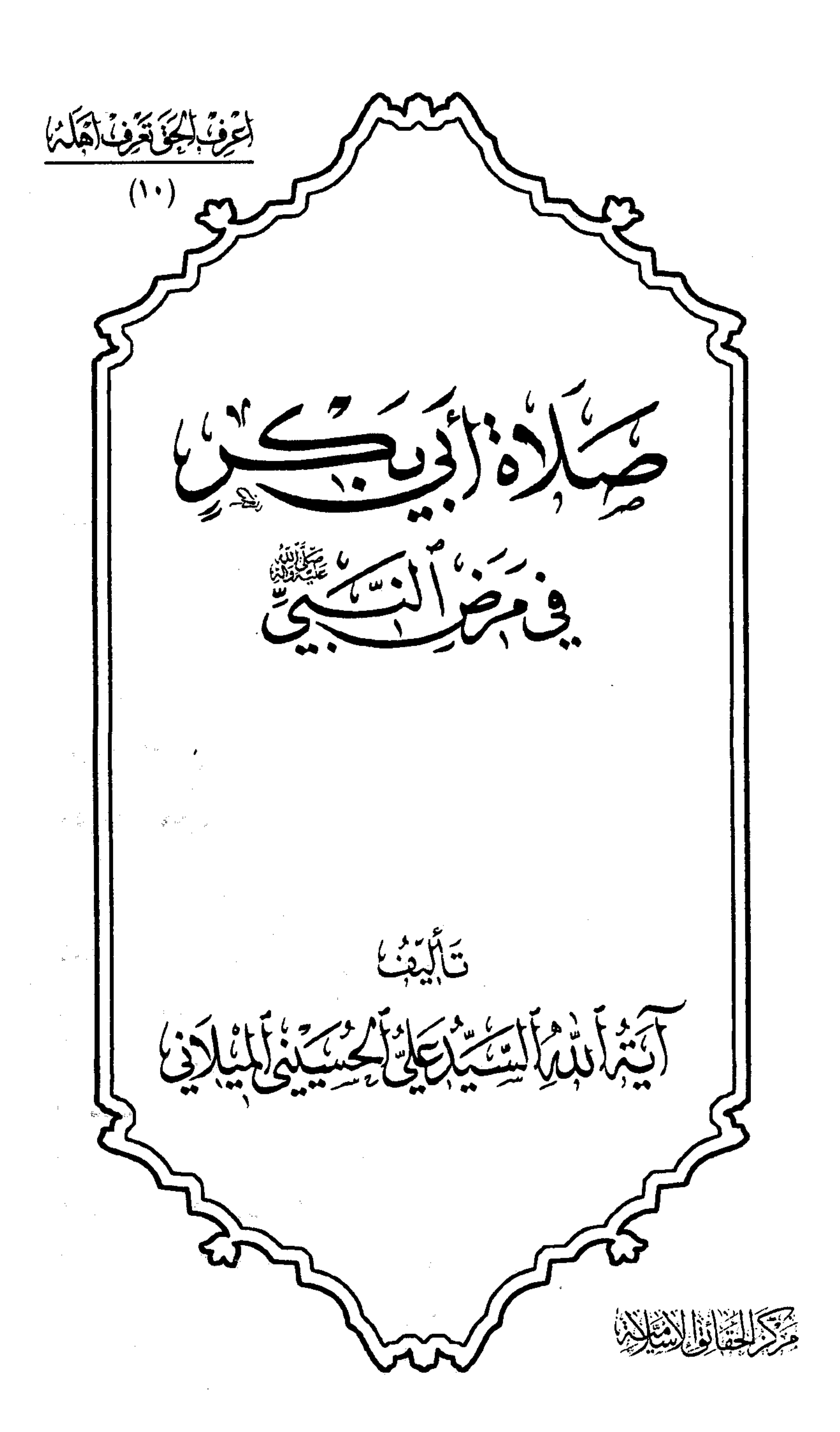


مركز الحقائق الإسلامية
صلاة أبي بكر
في مرض النبي صلى الله عليه وآله
تأليف
آية الله السيد علي الحسيني الميلاني
١٠
المكتبة التخصصية للرد على الوهابية

اعرف الحق تعرف أهله

(١٠)



صلاة أبي بكر في مرض النبي صلى الله عليه وآله

تأليف

آية الله السيد علي الحسيني الميلاني

مركز الحقائق الإسلامية

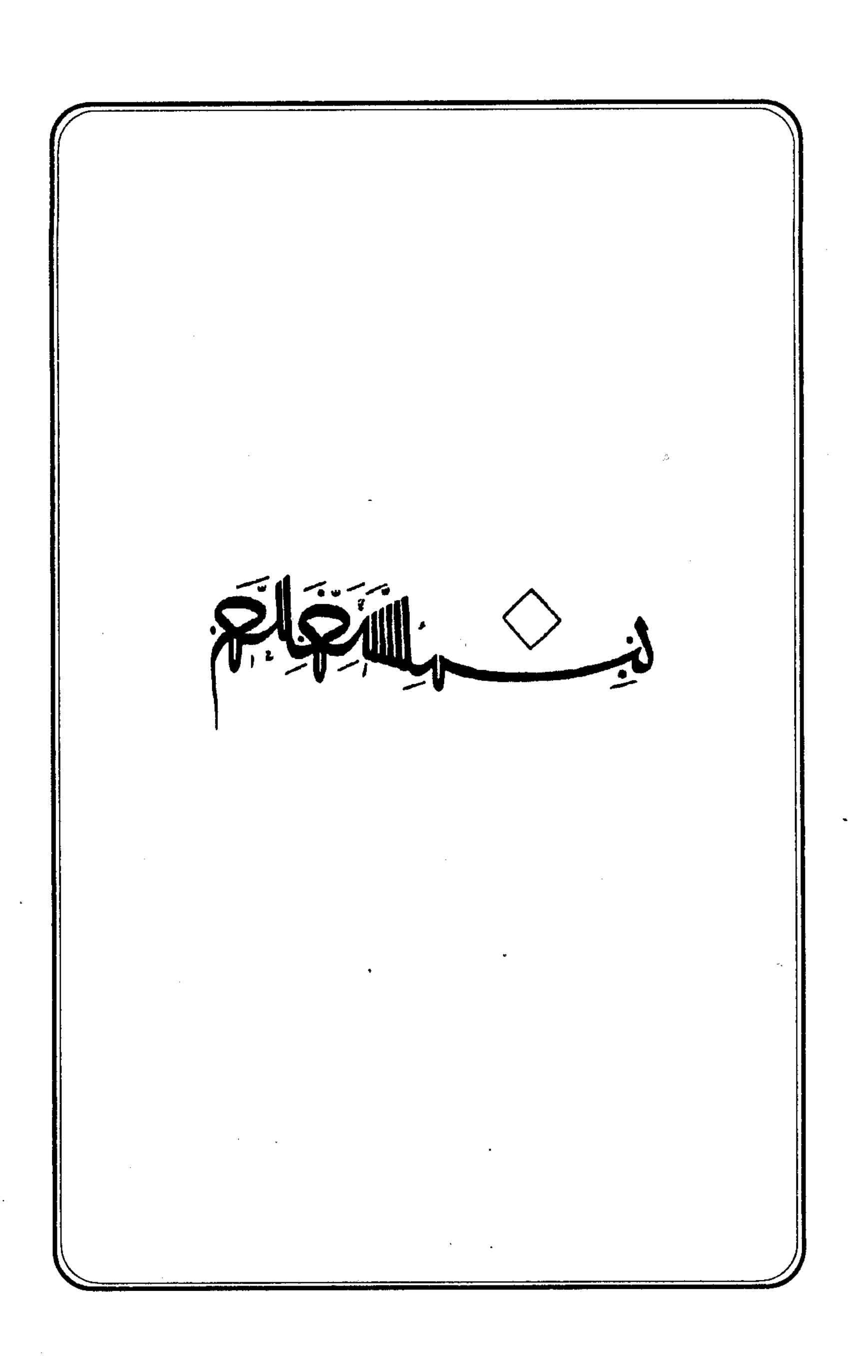
طبعت هذه الرسالة في :

مجلّة تراثنا، العدد : ٢٤ .

وكتاب الرسائل العشر في الأحاديث الموضوعة في كتب السنّة



* الكتاب: صلاة أبي بكر في مرض النبي صلى الله عليه وآله
* المؤلف: السيد علي الحسيني الميلاني
* نشر: الحقائق
* المطبعة: شريعت
* الطبعة: الأُولى ١٤٢٧، ١٣٨٥
* العدد: ٣٠٠٠ نسخة
* السعر: ١١٠٠ تومان
* ردمك: ٩٦٤-٢٥٠١-٣٨-٤ 964-2501-38-4



بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة المركز

نظراً للحاجة الماسّة والضرورة الملحّة لنشر العقائد الحقّة والتعريف بالفكر الشيعي، بالبراهين العقليّة المتقنة والأدلّة النقلية من الكتاب والسنّة، من أجل ترسيخها في أذهان المؤمنين، ودفع الشبهات المثارة حولها من قبل المخالفين، فقد بادر (مركز الحقائق الاسلامية) بإخراج سلسلة علمية ـ عقائدية، متنوّعة، تميّزت بجامعيتها بين العمق في النظر والقوّة في الاستدلال والوضوح في البيان، تحت عنوان (إعرف الحق تعرفه أهله)، وهي من بحوث سماحة الفقيه المحقق آية اللّٰه الحاج السيد علي الحسيني الميلاني (دام ظلّه)، آملين أن نكون قد قمنا ببعض الواجب الملقى على عواتقنا في هذه الأيام التي كثرت فيها الشبهات وازدادت الانحرافات، سائلين اللّٰه ﷻ أن يسدّد خطانا على نهج الكتاب والعترة الطاهرة كما أوصى الرسول الأكرم صلّى اللّٰه عليه وآله وسلّم، والحمد للّٰه رب العالمين.

مركز الحقائق الاسلامية

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ خير خلقه وأشرف بريّته محمّد وآله الطاهرين، ولعنة الله علىٰ أعدائهم أجمعين من الأولين والآخرين.

وبعد...

فهذه رسالة وجيزة تناولتُ فيها خبر: أنّ النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم أمر في أيّام مرض موته أبا بكر بالصلاة بالمسلمين، وأنّه خرج إلى المسجد وصلّى خلفه معهم... بالبحث والتحقيق، وإنّه بذلك لحقيق:

لتعلّقه بأحوال النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله وسيرته المباركة...

ولتمسّك القائلين بخلافة أبي بكر من بعده به...

وللأحكام الشرعية والمسائل الاعتقادية المستفادة منه...

ولأُمور غير ذلك...

لقد بحثتُ عن الخبر من أهمّ نواحيه، وسبرُت ما قيل فيه،

وتوصّلتُ علىٰ ضوء ذلك إلى واقع الحال ... وحقّ المقال ...

فإلى أهل التحقيق والفضل ... هذا البحث غير المسبوق ولا المطروق من قبل، أرجو أن ينظروا فيه بعين الإنصاف ... بعيداً عن التعصّب والاعتساف ... وما توفيقي إلاّ بالله.

علي الحسيني الميلاني

(١)

أسانيد الحديث ونصوصه

لقد اتّفق المحدِّثون كلّهم علىٰ إخراج هذا الحديث، فلم يخلُ منه (صحيح) ولا (مسند) ولا (معجم) ... لكنّا اقتصرنا هنا علىٰ ما أخرجه أرباب (الصحّاح الستّة) وما أخرجه أحمد في (المسند) لكون ما جاء في هذه الكتب هو الأتمّ لفظاً والأقوىٰ سنداً، فإذا عُرف حاله عُرف حال غيره، ولم تكن حاجة إلى التطويل بذكره.

الموطّأ:

جاء في (الموطّأ): «وحدّثني عن مالك، عن هشام بن عروة، عن أبيه، أنّ رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم خرج في مرضه فأتىٰ فوجد أبا بكر وهو قائم يصلّى بالناس، فاستأخر أبو بكر فأشار إليه رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم أن كما أنت؛ فجلس رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم إلى جنب أبي بكر، فكان أبو بكر يصلّي بصلاة رسول

الله صلّىٰ الله عليه وسلّم وهو جالس، وكان الناس يصلّون بصلاة أبي بكر»[١].

صحيح البخاري

وأخرجه البخاري في مواضع كثيرة من (صحيحه)، منها ما يلي:

١ ـ حدّثنا عمر بن حفص بن غياث، قال: حدّثني أبي، قال: حدّثنا الأعمش، عن إبراهيم، قال الأسود: كنّا عند عائشة رضي الله عنها، فذكرنا المواظبة علىٰ الصلاة والتعظيم لها؛ قالت:

«لمّا مرض رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم مرضه الذي مات فيه فحضرت الصلاة فأذن، فقال: مُروا أبا بكر فليصلِّ بالناس. فقيل له: إنّ أبا بكر رجل أسيف إذا قام في مقامك لم يستطع أن يصلّي بالناس؛ وأعاد فأعادوا له، فأعاد الثالثة، فقال: إنّكنّ صواحب يوسف! مُروا أبا بكر فليصلِّ بالناس. فخرج أبو بكر فصلّى.

فوجد النّبي صلّىٰ الله عليه وسلّم من نفسه خفّةً، فخرج يهادي بين رجلين، كأنّي أنظر رجليه تخطّان من الوجع، فأراد أبو بكر أن

(١) الموطأ ١/١٣٦ كتاب صلاة الجماعة باب صلاة الإمام وهو جالس الرقم ١٨.

يتأخّر، فأومأ إليه النّبي أن مكانك. ثم أتي به حتّى جلس إلى جنبه.

قيل للأعمش: وكان النبي صلّىٰ الله عليه وسلّم يصلّي وأبو بكر يصلّي بصلاته والناس يصلّون بصلاة أبي بكر؟ فقال برأسه: نعم.

رواه أبو داود[١] عن شعبة عن الأعمش بعضه. وزاد أبو معاوية: جلس عن يسار أبي بكر، فكان أبو بكر يصلّي قائماً»[٢].

٢ ـ حدّثنا يحيىٰ بن سليمان، قال: حدّثنا ابن وهب، قال: حدّثني يونس، عن ابن شهاب، عن حمزة بن عبدالله أنّه أخبره عن أبيه، قال: «لمّا اشتدّ برسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم وجعه قيل له في الصلاة! فقال: مروا أبا بكر فليصلّ بالناس.

قالت عائشة: إنّ أبا بكر رجل رقيق، إذا قرأ غلبه البكاء.

قال: مروه فيصلّي. فعاودته.

قال: مروه فيصلّي، إنّكنّ صواحب يوسف»[٣].

٣ ـ حدّثنا زكريّا بن يحيىٰ، قال: حدّثنا ابن نمير، قال أخبرنا

---

(١) هو أبو داود الطيالسي.

(٢) صحيح البخاري ٢٣٦/١ كتاب الجماعة والإمامة باب حدّ المريض أن يشهد الجماعة الرقم ٦٣٣.

(٣) صحيح البخاري ٢٤١/١ كتاب الجماعة والإمامة باب أهل العلم والفضل أحقّ بالإمامة الرقم ٦٥٠.

هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة: قالت: «أمر رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم أبا بكر أن يصلّي بالناس في مرضه، فكان يصلّي بهم.

قال عروة: فوجد رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم في نفسه خفّةً، فخرج فإذا أبو بكر يؤمّ الناس، فلمّا رآه أبو بكر استأخر فأشار إليه أن كما أنت. فجلس رسول الله حذاء أبي بكر إلى جنبه، فكان أبو بكر يصلّي بصلاة رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم والناس يصلّون بصلاة أبي بكر»[1].

٤ ـ حدّثنا إسحاق بن نصر، قال: حدّثنا حسين، عن زائدة، عن عبدالملك بن عمير، قال: حدّثني أبو بردة، عن أبي موسىٰ، قال: «مرض النبي صلّىٰ الله عليه وسلّم فاشتدّ مرضه فقال: مروا أبا بكر فليصلّ بالناس. قالت عائشة: إنّه رجل رقيق، إذا قام مقامك لم يستطع أن يصلّي بالناس!.

قال: مروا أبا بكر فليصلِّ بالناس، فعادت. فقال: مُري أبا بكر فليصلِّ بالناس فإنّكنّ صواحب يوسف.

فأتاه الرسول فصلّى بالناس في حياة النبيّ صلّىٰ الله عليه

(١) صحيح البخاري ٢٤١/١ـ ٢٤٢ كتاب الجماعة والإمامة باب من قام إلى جنب الإمام لعلّةٍ الرقم ٦٥١.

وسلّم»[١].

٥ ـ حدّثنا عبدالله بن يوسف، قال: أخبرنا مالك، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة أُم المؤمنين رضي الله عنها أنّها قالت: «إنّ رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم قال في مرضه: مروا أبا بكر يصلّي بالناس.

قالت عائشة: قلت: إنّ أبا بكر إذا قام في مقامك لم يسمع الناس من البكاء! فُمر عمر فليصلِّ للناس.

فقالت عائشة: فقلت: لحفصة قولي له: إنّ أبا بكر إذا قام في مقامك لم يسمع الناس مع البكاء فَمُرْ عمر فليصلِّ للناس. ففعلت حفصة. فقال رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم: مَه، إنّكنّ لأنتنّ صواحب يوسف، مروا أبابكر فليصلّ للناس.

فقالت حفصة لعائشة: ماكُنت لأصيب منك خيراً»[٢].

٦ ـ حدّثنا أحمد بن يونس، قال: حدّثنا زائدة، عن موسىٰ بن أبي عائشة، عن عبيدالله بن عبدالله بن عتبة، قال: «دخلت علىٰ

(١) صحيح البخاري ٢٤٠/١ كتاب الجماعة والإمامة باب أهل العلم والفضل أحق بالإمامة الرقم ٦٤٦.

(٢) صحيح البخاري ٢٤٠/١ كتاب الجماعة والإمامة باب أهل العلم والفضل أحقّ بالإمامة الرقم ٦٤٧.

عائشة فقلت: ألا تحدّثيني عن مرض رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم؟

قالت: بلىٰ، ثقل النبي صلّىٰ الله عليه وسلّم فقال: أصلّى الناس؟ قلنا: لا، هم ينتظرونك. قال: ضعوا لي ماءً في المخضب، قالت: ففعلنا فاغتسل، فذهب لينوء فأُغمي عليه. ثمّ أفاق، فقال صلّىٰ الله عليه وسلّم: أصلّى الناس؟ قلنا: لا، هم ينتظرونك يا رسول الله. قال: ضعوا لي ماءً في المخضب، قالت: فقعد فاغتسل، ثم ذهب لينوء فأغمى عليه. ثمّ أفاق فقال: أصلّى الناس؟ قلنا: لا، هم ينتظرونك يا رسول الله. فقال: ضعوا لي ماءً في المخضب، فقعد فاغتسل، ثمّ ذهب لينوء فاغمي عليه. ثمّ أفاق فقال: أصلّى الناس؟ فقلنا: لا، هم ينتظرونك يا رسول الله. والناس عكوف في المسجد ينتظرون النبي عليه السّلام لصلاة العشاء الآخرة.

فأرسل النبي صلّىٰ الله عليه وسلّم إلى أبي بكر بأن يصلّي بالناس، فأتاه الرسول فقال: إنّ رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم يأمرك أن تصلّي بالناس. فقال أبو بكر ـ وكان رجلاً رقيقاً ـ: يا عمر، صلِّ بالناس. فقال له عمر: أنت أحقّ بذلك. فصلّى أبو بكر تلك الأيام.

ثمّ إنّ النبي صلّىٰ الله عليه وسلّم وجد من نفسه خفّةً، فخرج

بين رجلين أحدهما العبّاس لصلاة الظهر وأبو بكر يصلّي بالناس، فلمّا رآه أبو بكر ذهب ليتأخّر فأومأ إليه النبي بأنْ لا يتأخّر. قال: أجلساني إلى جنبه، فأجلساه إلى جنب أبي بكر. قال: فجعل أبو بكر يصلّي وهو يأتمّ بصلاة النبي والناس بصلاة أبي بكر والنبي صلّىٰ الله عليه وسلّم قاعد.

قال عبيدالله: فدخلت علىٰ عبدالله بن عبّاس فقلت له: ألا أعرض عليك ما حدثتني عائشة عن مرض النبي صلّىٰ الله عليه فعرضت عليه حديثها، فما أنكر شيئاً، غير أنّه قال: أسمَّتْ لك الرجل الذي كان مع العبّاس؟ قلت: لا، قال: هو عليّ»[1].

٧ـ حدّثنا مسدّد، قال: حدّثنا عبدالله بن داود، قال: حدّثنا الأعمش، عن إبراهيم، عن الأسود، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: «لمّا مرض النبي صلّىٰ الله عليه وسلّم مرضه الذي مات فيه أتاه بلال يؤذنه بالصّلاة. فقال: مروا أبا بكر فليصلّ. قلت: إنّ أبا بكر رجل أسيف، إن يقم مقامك يبك فلا يقدر علىٰ القراءة! قال: مروا أبا بكر فليصلِّ. فقلت مثله فقال في الثالثة أو الرابعة: إنّكنّ صواحب يوسف،

(١) صحيح البخاري ٢٤٣/١ ـ ٢٤٤ كتاب الجماعة والإمامة باب إنّما جعل الإمام ليؤتمّ به الرقم ٦٥٥.

مروا أبابكر فليصلّ؛ فصلّى.

وخرج النبي صلّىٰ الله عليه وسلّم يهادي بين رجلين كأنّي أنظر إليه يخطّ برجليه الأرض، فلمّا رآه أبو بكر ذهب يتأخّر، فأشار إليه أن صلِّ، فتأخّر أبو بكر رضي الله عنه وقعد النبي صلّىٰ الله عليه وسلّم إلى جنبه وأبو بكر يسمع الناس التكبير»[1].

٨ ـ حدّثنا قتيبة بن سعيد، قال: حدّثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن الأسود، عن عائشة، قالت: «لمّا ثقل رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم جاء بلال يؤذنه بالصّلاة، فقال: مُروا أبا بكر أن يصلّي بالناس. فقلت: يا رسول الله إنّ أبا بكر رجل أسيف، وإنّه متى ما يقم مقامك لا يسمع الناس، فلو أمرت عمر. فقال: مروا أبا بكر يصلّي بالناس.

فقلت لحفصة: قولي له: إنّ أبا بكر رجل أسيف، وإنّه متى يقم مقامك لا يسمع الناس، فلو أمرت عمر.

قال: إنّكنّ لأنتنّ صواحب يوسف، مروا أبابكر أن يصلّي بالناس.

---

(١) صحيح البخاري ٢٥١/١ كتاب الجماعة والإمامة باب من أسمع الناس تكبير الإمام الرقم ٦٨٠.

فلمّا دخل في الصلاة وجد رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم في نفسه خفّةً، فقام يهادي بين رجلين ورجلاه تخطّان في الأرض حتّى دخل المسجد. فلمّا سمع أبو بكر حسّه ذهب أبو بكر يتأخّر، فأومأ إليه رسول الله، فجاء رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم حتّىٰ جلس عن يسار أبي بكر، فكان أبو بكر يصلّي قائماً وكان رسول الله يصلّي قاعداً، يقتدي أبو بكر بصلاة رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم، والناس مقتدون بصلاة»[1].

٩ ـ حدّثنا أبو اليمان، قال: أخبرنا شعيب، عن الزهري، قال: أخبرني أنس بن مالك الأنصاري ـ وكان تبع النبي وخدمه وصحبه ـ «أنّ أبا بكر كان يصلّي لهم في وجع النبي صلّىٰ الله عليه وسلّم الذي توفّي فيه، حتّىٰ إذا كان يوم الاثنين وهم صفوف في الصلاة، فكشف النبي ستر الحجرة ينظر إلينا وهو قائم كأنّ وجهه ورقة مصحف، ثمّ تبسّم يضحك، فهممنا أن نفتتن من الفرح برؤية النبي صلّىٰ الله عليه وسلّم. فنكص أبو بكر علىٰ عقبيه ليصل الصفّ، وظنّ أنّ النبي صلّىٰ الله عليه وسلّم خارج إلى الصلاة، فأشار إلينا النبي أن أتمّوا صلاتكم،

(١) صحيح البخاري ٢٥١/١ ـ ٢٥٢ كتاب الجماعة والإمامة باب الرجل يأتمّ بالإمام ويأتمّ الناس بالمأموم الرقم ٦٨١.

وأرخى الستر، فتوفّي من يومه».

١٠ ـ حدّثنا أبو معمر، قال: حدّثنا عبدالوارث، قال: حدّثنا عبدالعزيز، عن أنس، قال: «لم يخرج النبي صلّىٰ الله عليه وسلّم ثلاثاً، فأقيمت الصلاة فذهب أبو بكر يتقدّم، فقال نبي الله صلّىٰ الله عليه وسلّم بالحجاب فرفعه، فلما وضح وجه النّبي ما نظرنا منظراً كان أعجب إلينا من وجه النبي صلّىٰ الله عليه وسلّم حين وضح لنا، فأومأ النبي بيده إلى أبي بكر أن يتقدّم، وأرخى النبي الحجاب فلم يقدر عليه حتى مات»[1].

صحيح مسلم

وأخرجه مسلم بن الحجّاج في (صحيحه) غير مرّة[2]. من ذلك:

١ ـ حدّثنا أحمد بن عبدالله بن يونس، حدّثنا زائدة، حدّثنا موسى بن أبي عائشة، عن عبيدالله بن عبدالله، قال: «دخلت علىٰ عائشة فقلت لها: ألا تحدّثيني عن مرض رسول الله؟ قالت: بلى.

(١) صحيح البخاري ١/٢٤٠ ـ ٢٤١ كتاب الجماعة والإمامة باب أهل العلم والفضل أحقّ بالإمامة الأرقام ٦٤٨ و ٦٤٩.

(٢) صحيح مسلم ١/٣٩٣ ـ ٤٠٠ كتاب الصلاة، باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر.

ثقل النبي صلّىٰ الله عليه وسلّم، فقال: أصلّى الناس؟ قلنا: لا، هم ينتظرونك يا رسول الله. قال: ضعوا لي ماءً في المخضب...» إلى آخر ما تقدّم عن البخاري.

٢ ـ حدّثنا محمّد بن رافع وعبد بن حميد ـ واللفظ لابن رافع ـ قال عبد: أخبرنا، وقال ابن رافع: حدّثنا عبدالرزّاق، أخبرنا معمر، قال الزهري: وأخبرني حمزة بن عبدالله بن عمر، عن عائشة، قالت: «لمّا دخل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بيتي قال: مروا أبابكر فليصلِّ بالناس. قالت: فقلت يا رسول الله، إنّ أبابكر رجل رقيق، إذا قرأ القرآن لا يملك دمعه! فلو أمرت غير أبي بكر. قالت: والله ما بي إلاّ كراهية أن يتشاءم الناس بأوّل من يقوم في مقام رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قالت: فراجعته مرّتين أو ثلاثاً. فقال: ليصلّ بالناس أبو بكر فإنّكنّ صواحب يوسف».

٣ ـ حدّثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدّثنا أبو معاوية ووكيع.

ح وحدّثنا يحيى بن يحيى ـ واللفظ له ـ قال أخبرنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن الأسود، عن عائشة، قالت: «لمّا ثقل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم جاء بلال يؤذنه بالصلاة...» إلى آخر ما تقدم عن البخاري.

٤ ـ حدّثنا أبو بكر بن أبي شيبة وأبو كريب، قالا: حدّثنا ابن نمير عن هشام. ح وحدّثنا ابن نمير ـ وألفاظهم متقاربة ـ قال: حدّثنا أبي قال: حدّثنا هشام، عن أبيه عن عائشة، قالت: «أمر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أبا بكر أن يصلّي بالناس في مرضه، فكان يصلّي بهم.

قال عروة: فوجد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من نفسه خفّةً، فخرج وإذا أبو بكر يؤمّ الناس، فلمّا رآه أبو بكر استأخر، فأشار إليه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أي كما أنت. فجلس رسول الله حذاء أبي بكر إلى جنبه فكان أبو بكر يصلّي بصلاة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حذاء أبي بكر إلى جنبه فكان أبو بكر يصلّي بصلاة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، والناس يصلّون بصلاة أبي بكر».

٥ ـ حدّثني عمرو الناقد وحسن الحلواني وعبد بن حميد، قال عبد: أخبرني وقال الآخران: حدّثنا يعقوب ـ وهو ابن إبراهيم بن سعد ـ، وحدّثني أبي عن صالح، عن ابن شهاب، قال: أخبرني أنس بن مالك: «أنّ أبا بكر كان يصلّي لهم في وجع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الذي توفّي فيه ...».

٦ ـ حدّثنا محمّد بن المثنّى وهارون بن عبدالله، قالا: حدّثنا عبدالصمد، قال: سمعت أبي يحدّث، قال: حدّثنا عبدالعزيز، عن

أنس، قال: «لم يخرج إلينا نبيّ الله صلّى الله عليه وسلّم ثلاثاً..» إلى آخر ما تقدّم عن البخاري.

٧ ـ ورواه مسلم، عن سفيان بن عيينة، عن الزهري، عن أنس...

٨ ـ وعن عبدالرزاق، عن معمر، عن الزهري، عن أنس....

٩ ـ حدّثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدّثنا حسين بن علي، عن زائدة، عن عبدالملك بن عمير، عن أبي بردة، عن أبي موسىٰ، قال: «مرض رسول الله صلّى الله عليه وسلّم...» إلى آخر ما تقدّم عن البخاري.

صحيح الترمذي

وأخرجه الترمذي في (صحيحه) حيث قال:

«حدّثنا أبو موسىٰ إسحاق بن موسى الأنصاري، حدّثنا معن هو ابن عيسىٰ، حدّثنا مالك بن أنس، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة: أنّ النبي صلّى الله عليه وسلّم قال: مروا أبا بكر فليصلّ بالناس.

فقالت عائشة: يا رسول الله، إنّ أبا بكر إذا قام مقامك لم يسمع

الناس من البكاء فأمر عمر فليصلّ بالناس.

قالت: فقال: مروا أبا بكر فليصل بالنّاس، قالت عائشة: فقلت لحفصة: قولي له: إنّ أبابكر إذا قام في مقامك لم يسمع الناس من البكاء فأمُر عمر فليصلٍّ بالناس. ففعلت حفصة.

فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: إنّكنّ لأنتنّ صواحب يوسف، مروا أبا بكر فليصلٍّ بالناس.

فقالت حفصة لعائشة: ماكنت لأصيب منك خيراً.

قال أبو عيسىٰ: هذا حديث حسن صحيح.

وفي الباب عن عبدالله بن مسعود وأبي موسى وابن عبّاس وسالم بن عبيد وعبدالله بن زمعة»[١].

سنن أبي داود

وأخرجه أبو داود في (سننه) بقوله:

١ ـ «حدّثنا عبدالله بن محمّد النفيلي، ثنا محمّد بن سلمة، عن محمّد بن إسحاق، قال: حدّثني الزهري، قال: حدّثني عبدالملك بن

(١) صحيح الترمذي ٣٧٩/٥ كتاب المناقب باب في مناقب أبي بكر / وعمر كليهما الرقم ٣٦٩٢.

أبي بكر بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام، عن أبيه عن عبدالله بن زمعة، قالت لمّا استعزّ برسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأنا عنده في نفر من المسلمين دعاه بلال إلى الصلاة فقال: مروا من يصلّي للناس.

فخرج عبدالله بن زمعة فإذا عمر في الناس ـ وكان أبو بكر غائباً ـ فقلت: يا عمر، قم فصلِّ بالناس. فتقدّم فكبّر.

فلمّا سمع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم صوته، وكان عمر رجلاً مجهراً. قال: فأين أبو بكر؟ يأبي الله ذلك والمسلمون، يأبي الله ذلك والمسلمون.

فبعث إلى أبي بكر، فجاء بعد أن صلّى عمر تلك الصلاة فصلّى بالناس.

٢ ـ حدّثنا أحمد بن صالح، ثنا ابن أبي فديك، قال: حدّثني موسى بن يعقوب، عن عبدالله بن إسحاق، عن ابن شهاب، عن عبيدالله بن عبدالله بن عتبة: أنّ عبدالله بن زمعة أخبره بهذا الخبر قال: لمّا سمع النبي صلّى الله عليه وسلّم صوت عمر ـ قال ابن زمعة ـ: خرج النبي صلّى الله عليه وسلّم حتّىٰ أطلع رأسه من حجرته ثم قال: لا لا لا، ليصلّ للناس ابن أبي قحافة؛ يقول ذلك مغضباً»[1].

---

(١) سنن أبي داود ٣/٢٢٠ ـ ٢٢١ كتاب السنّة باب في استخلاف أبي بكر / الأرقام ٤٦٦٠ و ٤٦٦١.

سنن النسائي

وأخرجه النسائي في (سننه):

١ ـ أخبرنا العبّاس بن عبدالعظيم العنبري، حدّثنا عبدالرحمن ابن مهدي، حدّثنا زائدة، عن موسى بن أبي عائشة، عن عبيدالله بن عبدالله، قال: «دخلت على عائشة فقلت: ألا تحدّثيني...» إلى آخره كما تقدّم[1].

٢ ـ أخبرنا محمّد بن العلاء، قال: حدّثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن الأسود، عن عائشة، قالت: «لمّا ثقل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم جاء بلال يؤذنه بالصلاة. فقال: مرو أبا بكر فليصلّ بالناس...» إلى آخره كما تقدّم[2].

٣ ـ أخبرنا عليّ بن حجر، قال: حدّثنا إسماعيل، قال: حدّثنا حميد، عن أنس، قال: «آخر صلاة صلاّها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مع القوم، صلّى في ثوب واحدٍ متوشّحاً خلف أبي بكر».

---

(١) سنن النسائي ٢/٤٣٥ ـ ٤٣٦ الائتمام بالإمام يصلّي قاعداً الرقم ٨٣٣.

(٢) سنن النسائي ٢/٤٣٤ ـ ٤٣٥ كتاب الإمامة من كتاب الصلاة الائتمام بالإمام يصلى قاعداً الرقم ٨٣٢.

٤ ـ أخبرنا محمّد بن المثنّىٰ، قال: حدّثنا بكر بن عيسى صاحب البصري، قال: سمعت شعبة يذكر عن نعيم بن أبي هند، عن أبي وائل، عن مسروق، عن عائشة: «أنّ أبا بكر صلّى للناس ورسول الله صلّى الله عليه وسلّم في الصفّ»[١].

٥ ـ أخبرنا إسحاق بن إبراهيم وهناد بن السري، عن حسين بن عليّ، عن زائدة، عن عاصم، عن زرّ، عن عبدالله، قال: «لمّا قبض رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم قالت الأنصار: منّا أمير ومنكم أمير؛ فأتاهم عمر فقال: ألستم تعلمون أنّ رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم قد أمر أبابكر أن يصلّي بالناس؟ فأيّكم تطيب نفسه أن يتقدّم أبابكر؟! قالوا: نعوذ بالله أن نتقدّم أبابكر»[٢].

٦ ـ أخبرنا محمود بن غيلان، قال: حدّثني أبو داود، أخبرنا شعبة، عن موسى بن أبي عائشة، قال: «سمعت عبيدالله بن عبدالله يحدّث عن عائشه رضي الله عنها: أنّ رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم أمر أبا بكر أنّ يصلّي بالناس. قالت: وكان النبي صلّىٰ الله عليه وسلّم

(١) سنن النسائي ٤١٣/٢ ـ ٤١٤ كتاب الإمامة من كتاب الصلاة صلاة الإمام خلف رجل من رعيّته الأرقام ٧٨٤، ٧٨٥.

(٢) سنن النسائي ٤٠٩/٢ كتاب الإمامة من كتاب الصلاة إمامة أهل العلم والفضل، الرقم ٧٧٦.

بين يدي أبي بكر، فصلّى قاعداً، وأبو بكر يصلّي بالناس، والناس خلف أبي بكر[1].

سنن ابن ماجة

وأخرجه ابن ماجة في (سننه) بقوله:

١ ـ حدّثنا أبو بكر بن أبي شيبة، قال: حدّثنا أبو معاوية ووكيع، عن الأعمش.

حـ وحدّثنا عليّ بن محمّد، قال: حدّثنا وكيع، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن الأسود، عن عائشة، قالت: «لمّا مرض رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم مرضه الذي مات فيه ـ وقال أبو معاوية: لمّا ثقل ـ جاء بلال يؤذنه بالصلاة، فقال: مروا أبا بكر فليصلّ بالناس... قالت: فأرسلنا إلى أبي بكر فصلّى بالناس.

فوجد رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم من نفسه خفّةً، فخرج إلى الصلاة... فكان أبو بكر يأتمّ بالنبي صلّىٰ الله عليه وسلّم، والناس يأتّمون بأبي بكر».

(١) سنن النسائي ٤١٨/٢ كتاب الإمامة من كتاب الصلاة الائتمام بمن يأتمّ بالإمام الرقم ٧٩٦.

٢ ـ حدّثنا أبوبكر بن أبي شيبة، قال: حدّثنا عبدالله بن نمير، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، قالت: «أمر رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم أبابكر أن يصلّي بالناس في مرضه ...».

٣ ـ حدّثنا نصر بن علي الجهضمي، قال: أنبأنا عبدالله بن داود من كتابه في بيته، قال: حدّثنا سلمة بن نبيط، عن نعيم بن أبي هند، عن نبيط بن شريط، عن سالم بن عبيد، قال: «أُغمي علىٰ رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم في مرضه، ثمّ أفاق فقال: أحضرت الصّلاة؟ قالوا: نعم.

قال: مروا بلالاً فليؤذّن، ومروا أبابكر فليصلّ بالناس. ثمّ أُغمي عليه فأفاق فقال ثم أُغمي عليه فأفاق فقال ... فقالت عائشة: إنّ أبي رجل أسيف، فإذا قام ذلك المقام يبكي لا يستطيع، فلو أمرت غيره!

ثمّ أُغمي عليه فأفاق فقال: مروا بلالاً فليؤذن، ومروا أبا بكر فليصلِّ بالناس، فإنّكنّ صواحب يوسف ـ أو صواحبات يوسف ـ.

قال: فأُمِر بلال فأذّن، وأُمِر أبو بكر فصلّى بالناس.

ثمّ إنّ رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم وجد خفّةً فقال: أنظروا لي من أتّكى عليه.

فجاءت بريرة ورجل آخر فاتّكأ عليهما، فلمّا رآه أبو بكر ذهب

لينكص، فأومأ إليه أن اثبت مكانك.

ثم جاء رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم حتّىٰ جلس إلى جنب أبي بكر حتّىٰ قضى أبو بكر صلاته، ثمّ إنّ رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم قُبِض.

قال أبو عبدالله: هذا حديث غريب لم يحدّث به غير نصر بن علي».

٤ـ حدّثنا عليّ بن محمّد، قال: حدّثنا وكيع، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق عن الأرقم بن شرحبيل، عن ابن عبّاس، قال: «لمّا مرض رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم مرضه الذي مات فيه كان في بيت عائشة فقال: أدعوا لي عليّاً.

قالت عائشة: يا رسول الله، ندعو لك أبا بكر؟ قال: ادعوه.

قالت حفصة: يا رسول الله، ندعو لك عمر؟ قال: ادعوه.

قالت أمّ الفضل: يا رسول الله، ندعو لك العبّاس؟ قال: نعم.

فلمّا اجتمعوا رفع رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم رأسه فنظر فسكت. فقال عمر: قوموا عن رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم.

ثمّ جاء بلال يؤذنه بالصلاة، فقال: مروا أبا بكر فليصلّ بالناس. فقالت عائشة: يا رسول الله، إنّ أبا بكر رجل رقيق حصر، ومتى لا

يراك يبكي والناس يبكون، فلو أمرت عمر يصلّي بالناس؟

فخرج أبو بكر فصلّى بالناس، فوجد رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم من نفسه خفّةً، فخرج يهادي بين رجلين ورجلاه تخطّان في الأرض، فلمّا رآه الناس سبّحوا بأبي بكر، فذهب ليستأخر فأومأ إليه النبي صلّىٰ الله عليه وسلّم أي مكانك.

فجاء رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم فجلس عن يمينه وقام أبو بكر، وكان أبو بكر يأتمّ بالنّبي والناس يأتمّون بأبي بكر.

قال ابن عبّاس: وأخذ رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم من القراءة من حيث كان بلغ أبو بكر.

قال وكيع: وكذا السُنّة.

قال: فمات رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم في مرضه ذلك»[1].

مسند أحمد

وأخرج أحمد بن حنبل في (مسنده) أكثر من غيره بكثير، فلنذكر طائفة من رواياته:

---

(١) سنن ابن ماجة ٣٩٤/٢ ـ ٣٩٨ كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها باب ما جاء في صلاة رسول الله في مرضه الأرقام ١٢٣٢ ـ ١٢٣٥.

١ ـ حدثنا عبدالله، حدّثني أبي، ثنا يحيى بن زكريّا بن أبي زائدة، حدّثني أبي، عن أبي إسحاق عن الأرقم بن شرحبيل، عن ابن عبّاس، قال: «لمّا مرض رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم أمر أبابكر أن يصلّي بالناس، ثمّ وجد خفّةً، فخرج، فلمّا أحسّ به أبو بكر أراد أن ينكص، فأومأ إليه النبي صلّىٰ الله عليه وسلّم فجلس إلى جنب أبي بكر عن يساره، واستفتح من الآية التي انتهى إليها أبوبكر»[١].

٢ ـ حدثنا عبدالله، حدّثني أبي، ثنا وكيع، ثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن أرقم بن شرحبيل، عن ابن عبّاس، قال: «لمّا مرض رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم مرضه الذي مات فيه كان في بيت عائشة رضي الله عنها فقال: أدعوا إليّ عليّاً.

قالت عائشة رضي الله عنها: ندعو لك أبابكر؟ قال: ادعوه.

قالت حفصة: يا رسول الله، ندعو لك عمر؟ قال: ادعوه.

قالت أُمّ الفضل: يا رسول الله، ندعو لك العبّاس؟ قال: ادعوه.

فلمّا اجتمعوا رفع رأسه فلم ير عليّاً. فقال عمر رضي الله عنه: قوموا عن رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم. فجاء بلال يؤذنه بالصلاة ...[٢].

(١) مسند أحمد ٣٨٣/١ ـ ٣٨٤ مسند عبدالله بن عباس الرقم ٢٠٥٦.

(٢) مسند أحمد ٥٨٨/١ مسند عبدالله بن عباس الرقم ٣٣٤٥.

٣ ـ حدّثنا عبدالله، حدّثني أبي، ثنا عبدالله بن الوليد، ثنا سفيان، عن حميد عن أنس بن مالك، قال: «كان آخر صلاة صلاّها رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم عليه برد متوشّحاً به وهو قاعد»[1].

٤ ـ حدّثنا عبدالله، حدّثني أبي، ثنا يزيد، أنا سفيان ـ يعني ابن حسين ـ، عن الزهري، عن أنس، قال: «لمّا مرض رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم مرضه الذي توفّي فيه أتاه بلال يؤذنه بالصلاة، فقال بعد مرّتين: يا بلال، قد بلّغت، فمن شاء فليصلّ ومن شاء فليدع.

فرجع إليه بلال فقال: يا رسول الله، بأبي أنت وأُمي، مَن يصلّى بالناس؟

قال: مُرْ أبابكر فليصلّ بالناس.

فلمّا أن تقدّم أبوبكر رفعت عن رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم الستور قال: فنظرنا إليه كأنّه ورقة بيضاء عليه خميصة، فذهب أبوبكر يتأخّر وظنّ أنّه يريد الخروج إلى الصلاة، فأشار رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم إلى أبي بكر أنْ يقوم فيصلّي، فصلّى أبوبكر بالناس، فما رأيناه بعد»[2].

(١) مسند أحمد ٤/٨٤ مسند أنس بن مالك الرقم ١٢٨٤٨.
(٢) مسند أحمد ٤/٦٠ مسند أنس بن مالك الرقم ١٢٦٨٠.

٥ ـ حدثنا عبدالله، حدّثني أبي، ثنا حسين بن عليّ، عن زائدة، عن عبدالملك بن عمير، عن أبي بردة بن أبي موسى، عن أبي موسى، قال: «مرض رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم ...»(١).

٦ ـ حدثنا عبدالله، حدّثني أبي، ثنا عبد الأعلى، عن معمر، عن الزهري، عن عبيدالله بن عبدالله، عن عائشة قالت: «لمّا مرض رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم في بيت ميمونة فاستأذن نساءه أن يمرّض في بيتي فأذِنَّ له، فخرج رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم معتمداً علىٰ العباس وعلى رجلٍ آخر ورجلاه تخطّان في الأرض.

وقال عبيدالله: فقال ابن عبّاس: أتدري من ذلك الرجل؟ هو عليّ بن أبي طالب، ولكن عائشة لا تطيب له نفساً.

قال الزهري: فقال النبي صلّىٰ الله عليه وسلّم ـ وهو في بيت ميمونة ـ لعبدالله بن زمعة: مر الناس فليصلّوا.

فلقي عمر بن الخطّاب فقال: يا عمر صلّ بالناس، فصلّى بهم، فسمع رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم صوته فعرفه وكان جهير الصوت ...»(٢).

---

(١) مسند أحمد ٥٦٥/٥ حديث أبي موسى الأشعري الرقم ١٩٢٠١.

(٢) مسند أحمد ٥٣/٧ حديث السيّدة عائشة الرقم ٢٣٥٤١.

٧ ـ حدثنا عبدالله، حدّثني أبي، ثنا وكيع، ثنا الأعمش، عن إبراهيم، عن الأسود، عن عائشة، قالت: «لمّا مرض رسول الله... فجاء النبي صلّىٰ الله عليه وسلّم حتى جلس إلى جنب أبي بكر، وكان أبوبكر يأتمّ بالنبي صلّىٰ الله عليه وسلّم، والناس يأتّمون بأبي بكر»[١].

٨ ـ حدّثنا عبدالله، حدّثني أبي، ثنا أبو معاوية، قال ثنا الأعمش، عن إبراهيم، عن الأسود، عن عائشة قالت: «... فجاء رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم حتى جلس عن يسار أبي بكر، وكان رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم يصلّي بالناس قاعداً وأبو بكر قائماً، يقتدي أبوبكر بصلاة رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم، والناس يقتدون بصلاة أبي بكر»[٢].

٩ ـ حدثنا عبدالله، حدّثني أبي، ثنا بكر بن عيسى، قال: سمعت شعبة بن الحجّاج يحدّث عن نعيم بن أبي هند، عن أبي وائل عن مسروق، عن عائشة: «أنّ أبابكر صلّى بالناس ورسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم في الصفّ»[٣].

---

(١) مسند أحمد ٣٠٠/٧ حديث السيّدة عائشة الرقم ٢٥٢٣٣.

(٢) مسند أحمد ٣١٩/٧ ـ ٣٢٠ حديث السيدة عائشة الرقم ٢٥٣٤٨.

(٣) مسند أحمد ٢٢٨/٧ حديث السيدة عائشة الرقم ٢٤٧٢٨.

١٠ ـ حدثنا عبدالله، حدّثني أبي، ثنا شبابة بن سوار، أنا شعبة، عن نعيم بن أبي هند، عن أبي وائل، عن مسروق، عن عائشة، قالت: «صلّى رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم خلف أبي بكر قاعداً في مرضه الذي مات فيه»[١].

١١ ـ حدثنا عبدالله، حدّثني أبي، ثنا شبابة، ثنا شعبة، عن سعد بن إبراهيم، عن عروة بن الزبير، عن عائشة، قالت: «قال رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم في مرضه الذي مات فيه: مروا أبابكر يصلّي بالناس ... فصلّى أبوبكر وصلّى النبي صلّىٰ الله عليه وسلّم خلفه قاعداً»[٢].

١٢ ـ حدثنا عبدالله، حدّثني أبي، ثنا عبدالصمد بن عبدالوارث، ثنا زائدة، ثنا عبدالملك بن عمير، عن ابن بريدة، عن أبيه، قال: «مرض رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم فقال: مروا أبابكر يصلّي بالناس، فقالت عائشة: يا رسول الله إنّ أبي رجل رقيق! فقال: مروا أبابكر يصلّي بالناس فإنّكنّ صواحبات يوسف فأمَّ أبوبكر الناس ورسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم حيٌّ»[٣].

---

(١) مسند أحمد ٢٢٨/٧ حديث السيدة عائشة الرقم ٢٤٧٢٩.

(٢) مسند أحمد ٢٢٨/٧ حديث السيدة عائشة الرقم ٢٤٧٣٠.

(٣) مسند أحمد ٤٩٧/٦ حديث بريدة الأسلمي الرقم ٢٢٥٥١.

(٢)
نظرات في أسانيد الحديث

لقد نقلنا الحديث بأتمّ ألفاظه وأصحّ طرقه عن الصحاح ومسند أحمد، وكما ذكرنا من قبل، فإنّ معرفة حاله بـالنظر إلى هـذه الأسـانيد والمتون تغنينا عن النظر فيما رووه في خارج الصـحاح عـن غـير مـن ذكرناه من الصحابة، ولربّما أشرنا إلى بعض ذلك في خلال البحث.

لقد كانت الأحاديث المذكورة عن:

١ ـ عائشة بنت أبي بكر.

٢ ـ عبدالله بن مسعود.

٣ ـ عبدالله بن عبّاس.

٤ ـ عبدالله بن عمر.

٥ ـ عبدالله بن زمعة.

٦ ـ أبي موسى الأشعري.

٧ ـ بريدة الأسلمي.

٨ ـ أنس بن مالك.

٩ ـ سالم بن عبيد.

فنحن ذكرنا الحديث عن تسعةٍ من الصحابة وإن لم يذكر الترمذي إلاّ ستّة، حيث قال بعد إخراجه عن عائشة: «وفي الباب عن عبدالله بن مسعود، وأبي موسى، وابن عبّاس، وسالم بن عبيد، وعبدالله بن زمعة»[1].

لكنّ العمدة حديث عائشة... بل إنّ بعض ما جاء عن غيرها من الصحابة مرسل، وإنّها هي الواسطة... كما سنرى...

فلنبدأ أوّلاً بالنظر في أسانيد الحديث عن غيرها ممن ذكرنا:

حديث أبي موسى الأشعري

أمّا الحديث المذكور عن أبي موسى الأشعري ـ والذي اتّفق عليه البخاري ومسلم، وأخرجه أحمد ـ ففيه:

١ ـ إنّه مرسل، نصّ عليه ابن حجر، قال: «ويحتمل أن يكون تلقّاه عن عائشة»[2].

(١) سنن الترمذي ٣٧٩/٥ كتاب المناقب باب في مناقب أبي بكر وعمر كليهما الرقم ٣٦٩٢.

(٢) فتح الباري ٢١٠/٢.

٢ ـ إنّ الراوي عنه «أبو بردة» وهو ولده كما نصّ عليه ابن حجر[١] وهذا الرجل فاسق أثيم، له ضلع في قتل حجر بن عديّ، حيث شهد عليه ـ في جماعة ـ شهادة زورٍ أدّت إلى شهادته[٢] وروي أيضاً أنّه قال لأبي العادية ـ قاتل عمّار بن ياسر رضي الله تعالى عنه ـ: «أأنت قتلت عمّار بن ياسر؟ قال: نعم. قال: ناولني يدك. فقبّلها وقال: لا تمسّك النار أبداً!»[٣].

٣ ـ والراوي عنه: «عبد الملك بن عمير». وهو «مدلّس» و«مضطرب الحديث جدّاً» و«ضعيف جدّاً» و«كثير الغلط»:

قال أحمد: «مضطرب الحديث جدّاً مع قلّة روايته، ما أرى له خمسمائة حديث، وقد غلط في كثير منها»[٤].

وقال إسحاق بن منصور: «ضعّفه أحمد جدّاً»[٥].

وعن أحمد: «ضعيف يغلط»[٦].

---

(١) فتح الباري ٢/٢١٠.

(٢) تاريخ الطبري ٤/١٩٩ ـ ٢٠٠.

(٣) شرح نهج البلاغة ٤/٩٩.

(٤) تهذيب التهذيب ٦/٣٦٠ وغيره.

(٥) تهذيب التهذيب ٦/٣٦٠، ميزان الاعتدال ٤٠٦/٤.

(٦) ميزان الاعتدال ٤٠٦/٤.

وقال ابن معين: «مخلط»[١].

وقال أبو حاتم: «ليس بحافظ، تغيّر حفظه»[٢]. وعنه: «لم يوصف بالحفظ»[٣].

وقال ابن خراش: «كان شعبة لا يرضاه»[٤].

وقال الذهبي: «وأمّا ابن الجوزي فذكره، فحكى الجرح وما ذكر التوثيق»[٥].

وقال السمعاني: «كان مدلّساً»[٦].

وكذا قال ابن حجر[٧].

وعبدالملك ـ هذا ـ هو الذي ذبح عبدالله بن يقطر أو قيس بن مسهر الصيداوي، وهو رسول الإمام الحسين عليه السّلام إلى أهل الكوفة، فإنّه لمّا رُمي بأمر ابن زياد من فوق القصر وبه رمق، أتاه عبدالملك بن عمير فذبحه، فلمّا عيب ذلك عليه قال: «إنّما أردت أن

---

(١) ميزان الاعتدال ٤/٤٠٦، تهذيب التهذيب ٦/٣٦٠.

(٢) ميزان الاعتدال ٤/٤٠٦.

(٣) تهذيب التهذيب ٦/٣٦٠.

(٤ و٥) ميزان الاعتدال ٤/٤٠٦.

(٦) الأنساب ٤/٤٤٤.

(٧) تقريب التهذيب ١/٦١٨.

أُريحه!»[١].

٤ ـ ثمّ الكلام في أبي موسى الأشعري نفسه، فإنّه من أشهر أعداء مولانا الإمام أميرالمؤمنين عليه السّلام، فقد كان يوم الجمل يقعد بأهل الكوفة عن الجهاد مع الإمام علي عليه السّلام، وفي صفّين هو الذي خلع الإمام عليه السلام عن الخلافة. وقد بلغ به الحال أن كان الإمام عليه السّلام يلعنه في قنوته، مع معاوية وجماعة من أتباعه.

ثمّ إنّ أحمد روى هذا الحديث في فضائل أبي بكر بسنده عن زائدة، عن عبدالملك بن عمير، عن أبي بردة بن أبي موسى، عن أبيه كذلك[٢].

حديث عبدالله بن عمر

وأمّا الحديث المذكور عن عبدالله بن عمر، فالظاهر كونه عن عائشة كذلك، كما رواه مسلم، عن عبدالرزّاق، عن معمر، عن الزهري، عن حمزة بن عبدالله بن عمر، عن عائشة لكنّ البخاري رواه

(١) تلخيص الشافي ٣/٣٣ـ٣٥، روضة الواعظين ١/١٧٧ ـ ١٧٨، مقتل الحسين ـ للمقرّم ـ: ١٨٦.

(٢) فضائل الصحابة ١/١٠٦.

بسنده عن الزهري، عن حمزة، عن أبيه، قال: «لمّا اشتدّ برسول الله وجعه...».

وعلىٰ كلّ حال، فإنّ مدار الطريقين علىٰ:

محمّد بن شهاب الزهري وهو رجل مجروح عند يحيى بن معين[1] وعبد الحقّ الدهلوي، وكان من أشهر المنحرفين عن أميرالمؤمنين عليه السّلام، ومن الرواة عن عمر بن سعد اللعين.

قال ابن أبي الحديد: «وكان الزهري من المنحرفين عنه عليه السّلام، وروى جرير بن عبدالحميد عن محمّد بن شيبة قال: شهدت مسجد المدينة، فإذا الزهري وعروة بن الزبير جالسان يذكران عليّاً عليه السّلام فنالا منه. فبلغ ذلك عليَّ بن الحسين عليه السّلام فجاء حتىٰ وقف عليهما فقال: أمّا أنت يا عروة، فإنّ أبي حاكم أباك إلى الله فحكم لأبي علىٰ أبيك، وأمّا أنت يا زهريّ، فلو كنت بمكّة لأريتُك كير أبيك»[2].

وقال: «وروى عاصم بن أبي عامر البجلي، عن يحيى بن

(١) هو من شيوخ البخاري ومسلم، ومن أئمّة الجرح والتعديل، اتّفقوا علىٰ أنّه أعلم أئمّة الحديث بصحيحه وسقيمه. توفّي سنة ٢٣٣ هـ. ترجم له في: تذكرة الحفّاظ ٤٢٩/٢ وغيرها.

(٢) شرح نهج البلاغة ١٠٢/٤.

عروة، قال: كان أبي إذا ذكر عليّاً نال منه»[١].

ويؤكّد هذا سعيه وراء إنكار مناقب أميرالمؤمنين عليه السّلام، كمنقبة سبقه إلى الإسلام، قال ابن عبدالبرّ: «وذكر معمر في جامعه عن الزهري قال: ما علمنا أحداً أسلم قبل زيد بن حارثة. قال عبدالرزّاق: وما أعلم أحداً ذكره غير الزهري»[٢].

وقال الذهبي بترجمة عمر بن سعد: «وأرسل عنه الزهري وقتادة. قال ابن معين: كيف يكون من قتل الحسين ثقة؟!»[٣].

وقال العلاّمة الشيخ عبدالحقّ الدهلوي بترجمة الزهري من «رجال المشكاة»: «إنّه قد ابتلي بصحبة الأمراء وبقلّة الديانة، وكان أقرانه من العلماء والزّهاد يأخذون عليه وينكرون ذلك منه، وكان يقول: أنا شريك في خيرهم دون شرّهم! فيقولون: ألاترى ما هم فيه وتسكت؟!».

وقال ابن حجر بترجمة الأعمش: «وحكى الحاكم عن ابن معين أنّه قال: أجود الأسانيد: الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة،

(١) شرح نهج البلاغة ١٠٢/٤.
(٢) الاستيعاب، ترجمة زيد بن حارثة ١١٧/٢.
(٣) الكاشف ٣٠١/٢.

عن عبدالله. فقال له إنسان: الأعمش مثل الزهري ؟! فقال: تريد من الأعمش أن يكون مثل الزهري ؟! الزهري يرى العرض والإجازة ويعمل لبني أُميّة؛ والأعمش فقير، صبور، ومجانب للسلطان، ورع، عالم بالقرآن»[1].

ولأجل كونه من عمّال بني أُميّة ومشيّدي سلطانهم كتب إليه الإمام السجّاد عليه السّلام كتاباً يعظه فيه، جاء فيه:: «إنّ أخفّ ما احتملت، أن آنست وحشة الظالم، وسهّلت له طريق الغيّ ... جعلوك قطباً أداروا بك رحى مظالمهم، وجسراً يعبرون عليك إلى بلاياهم، وسُلّماً إلى ضلالتهم، داعياً إلى غيّهم، سالكاً سبيلهم، احذر، فقد نُبِّئت، وبادِر فقد أجِّلْت ... »[2].

ولكنّ ذلك كلّه لم يردعه عن غيّه وإعانة الظالمين في ظلمهم وباطلهم، بل تمادى واستمر حتى كان ـ كما عبّر عنه بعضهم أكابرهم ـ «شرطيّ بني أُميّة»[3].

---

(١) تهذيب التهذيب ٤/٢٠٤.

(٢) ذكر الكتاب في: تحف العقول عن آل الرسول: ٢٧٤ـ٢٧٧، للشيخ ابن شعبة الحرّاني، من أعلام الإماميّة في القرن الرابع، وفي إحياء علوم الدين ٢/١٤٣ بعنوان: «ولمّا خالط الزهري السلطان كتب أخ له في الدين إليه ... »!، وفي بعض المصادر نسبته إلى أبي خازم.

(٣) سير اعلام النبلاء ٧: ٢٢٦.

ثمّ الكلام في عبدالله بن عمر نفسه:

فإنّه ممّن امتنع عن بيعة أميرالمؤمنين عليه السّلام بعد عثمان، وقعد عن نصرته، وترك الخروج معه في حروبه، ولكنّه لمّا ولي الحجّاج بن يوسف الحجاز من قبل عبدالملك جاءه ليلاً ليبايعه فقال له: ما أعجلك ؟! فقال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول: من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية !! فقال له: إنّ يدي مشغولة عنك ـ وكان يكتب ـ فدونك رجلي، فمسح علىٰ رجله وخرج[1]!!

حديث عبدالله بن زمعة

وأمّا حديث عبدالله بن زمعة فقد رواه أبو داود عنه بطريقين، والمدار في كليهما علىٰ «الزهري» وقد عرفته.

حديث عبدالله بن عبّاس

وأمّا حديث عبدالله بن عبّاس الذي رواه ابن ماجة وأحمد، الأوّل رواه عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن الأرقم بن شرحبيل،

(١) الفصول المختارة: ٢٤٥.

عن ابن عبّاس. والثاني رواه عن يحيى بن زكريّا بن أبي زائدة، عن أبيه، عن أبي إسحاق، عن الأرقم، عنه فمداره علىٰ:

أبي إسحاق، عن الأرقم

وقد قال البخاري: لم يذكر أبو إسحاق سماعاً من أرقم بن شرحبيل»[١].

وأبو إسحاق السبيعي: «قال بعض أهل العلم: كان قد اختلط، وإنّما تركوه مع ابن عيينة لاختلاطه»[٢]. وكان مدلّساً[٣].

وكان يروى عن عمر بن سعد الملعون قاتل سيد الشهداء أبي عبدالله الحسين عليه السّلام[٤].

وكان يروي عن شمر بن ذي الجوشن الملعون[٥].

وفي سند أحمد مضافاً إلى ذلك:

١ ـ سماع «زكريّا» من «أبي إسحاق» بعد اختلاطه كما

(١) التاريخ الكبير ٤٦/٢ و ذكره البوصيري في الزوائد بهامش سنن ابن ماجة ٣٩٧/٢.

(٢) ميزان الاعتدال ٣٢٦/٥.

(٣) تهذيب التهذيب ٥٥/٨.

(٤) الكاشف ٣٨٥/٣، ميزان الاعتدال ٢٣٩/٥، تهذيب التهذيب ٣٨١/٧.

(٥) ميزان الاعتدال ٣٨٥/٣، تهذيب التهذيب ٥٣/٨.

ستعرف.

٢ ـ «زكريّا بن أبي زائدة» قال أبو حاتم: «ليّن الحديث، كان يدلّس» ورماه بالتدليس أيضاً أبو زرعة وأبو داود وابن حجر وعن أحمد: «إذا اختلف زكريّا وإسرئيل فإنّ زكريّا أحبّ إليّ في أبيّ إسحاق، ثمّ قال: ما أقربهما، وحديثهما عن أبي إسحاق ليّن، سمعا منه بأخره»[1].

أقول: فالعجب من أحمد يقول هذا وهو مع ذلك يروي الحديث عن زكريّا عن أبي إسحاق في «المسند» كما عرفت وفي «الفضائل»[2].

نعم، رواه لا عن هذا الطريق لكنّه عن ابن عبّاس عن العبّاس، فقال مرةً: «ثنا يحيى بن آدم» وأُخرى «ثنا أبو سعيد مولى بني هاشم» عن قيس بن الربيع، عن عبدالله بن أبي السفر، عن أرقم بن شرحبيل، عن ابن عبّاس، عن العبّاس بن عبدالمطلب: «أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال في مرضه: «مروا أبابكر يصلّي بالناس، فخرج أبوبكر فكبّر، ووجد النبي راحة فخرج يهادي بين رجلين، فلمّا رآه أبوبكر

(١) تهذيب التهذيب ٢٩٣/٣، الجرح والتعديل ٥٣٠/٣.

(٢) فضائل الصحابة ١٠٦/١.

تأخّر، فأشار إليه النبي مكانك، ثمّ جلس رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى جنب أبي بكر، فاقترأ من المكان الذي بلغ أبوبكر من السورة»[١].

لكنّ مداره على «**قيس بن الربيع**» الذي أورده البخاري في الضعفاء[٢]. وكذا النسائي[٣] وابن حبّان في المجروحين[٤] وضعّفه غير واحد، بل عن أحمد أنّه تركه الناس، بل عن يحيى بن معين تكذيبه[٥].

حديث عبدالله بن مسعود

وأمّا الحديث المذكور عن ابن مسعود فأخرجه النسائي، ورواه الهيثمي أيضاً وقال: «رواه أحمد وأبو يعلى».

وفي سنده عند الجميع «عاصم بن أبي النجود» قال الهيثمي: «وفيه ضعف»[٦].

---

(١) فضائل الصحابة ١/١٠٨، ١٠٩.
(٢) الضعفاء الصغير: ١٩٥.
(٣) الضعفاء والمتروكون: ٢٠٢.
(٤) كتاب المجروحين ٢/٢١٦.
(٥) تهذيب التهذيب ٨/٣٤٠ـ٣٤٢، ميزان الاعتدال ٥/٤٧٧، لسان الميزان ٤/٥٧٠.
(٦) مجمع الزوائد ٥/٣٣٣كتاب الخلفاء باب الخفاء الأربعة الرقم ٨٩٣٦.

قلت: وذكر الحافظ ابن حجر عن ابن سعد: «كان كثير الخطأ في حديثه» وعن يعقوب بن سفيان: «في حديثه اضطراب» وعن أبي حاتم: «ليس محلّه أن يقال هو ثقة، ولم يكن بالحافظ» وقد تكلّم فيه ابن عليّة فقال: «كان كلّ من اسمه عاصم سيّىء الحفظ» وعن ابن خراش: «في حديثه نكرة» وعن العقيلي: «لم يكن فيه إلاّ سوء الحفظ» والدار قطني: «في حفظه شيء» والبزّار: «لم يكن بالحافظ» وحمّاد بن سلمة: «خلط في آخر عمره» وقال العجلي: «كان عثمانياً»[١].

حديث بريدة الأسلمي

وأمّا حديث بريدة الأسلمي الذي رواه أحمد بسنده عن ابن بريدة عن أبيه، فمع غضّ النظر عمّا قيل في رواية ابن بريدة ـ سواء كان «عبدالله» أو «سليمان» ـ عن أبيه[٢] فيه: «عبدالملك بن عمير» وقد عرفته.

(١) تهذيب التهذيب ٥/٣٧ـ٣٨.

(٢) تهذيب التهذيب ٥/١٤١.

حديث سالم بن عبيد

وأمّا حديث سالم بن عبيد الذي أخرجه ابن ماجة:

١ ـ فقد قال فيه ابن ماجة: «هذا حديث غريب».

٢ ـ وفي سنده نظر فإنّ «نعيم بن أبي هند»: «كان يتناول علياً رضي الله عنه» ولذا لم يسمع منه بعض أئمتهم وتركه[1].

و «سلمة بن نبيط» لم يرو عنه البخاري ومسلم، قال البخاري: «يقال: اختلط بآخره»[2].

٣ ـ ثمّ إنّ «سالم بن عبيد» لم يرو عنه في الصحاح، وما روى له من أصحاب السنن غير حديثين، وفي إسناد حديثه اختلاف!

قال ابن حجر: «سالم بن عبيد الأشجعي، من أهل الصُفّة، ثمّ نزل الكوفة، وروى له من أصحاب السنن حديثين بإسناد صحيح في العطاس. وله رواية عن عمر فيما قاله وصنعه عند وفاة النبي صلّى الله عليه وسلّم وكلام أبي بكر في ذلك. أخرجه يونس بن بكير في زياداته. روى عنه هلال بن يساف ونبيط بن شريط وخالد بن

(١) تهذيب التهذيب ٤١٨/١٠.

(٢) تهذيب التهذيب ١٤٣/٤.

عرفطة »[1].

وقال أيضاً: «الأربعة ـ سالم بن عبيد الأشجعي، له صحبة، وكان من أهل الصُفّة، يعدّ في الكوفيّين. روى عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم في تشميت العاطس، وعن عمر بن الخطّاب. روى عنه: خالد ابن عرفجة ـ ويقال ابن عرفطة ـ وهلال بن يساف ونبيط بن شريط. وفي إسناد حديثه اختلاف »[2].

أقول: يظهر من عبارة ابن حجر في كتابيه، ومن مراجعة الرواية عند الهيثمي[3] أنّ حديث سالم بن عبيد حول صلاة أبي بكر هو الحديث الذي عن عمر «فيما قاله وصَنَعه عند وفاة النبي صلّى الله عليه وسلّم...» لكنّ ابن ماجة قد ذكر بعضه كما نصّ عليه الهيثمي، وظاهر عبارة ابن حجر في «الإصابة» عدم صحّة إسناده، ولعلّه المقصود من قوله في «تهذيب التهذيب»: «وفي إسناد حديثه اختلاف» إذ القدر المتيقّن منه ما يرويه نبيط بن شريط عنه، وهذا الحديث من ذاك!

(١) الإصابة ٣/٨.

(٢) تهذيب التهذيب ٣/٣٨٣ـ٣٨٤.

(٣) مجمع الزوائد ٥/٣٣١ـ٣٣٣ كتاب الخلافة باب الخلفاء الأربعة الرقم ٨٩٣٥.

حديث أنس بن مالك

أمّا حديث أنس بن مالك، فمنه ما عن الزهري عنه، وقد أخرجه البخاري ومسلم وأحمد.

والزهري من قد عرفته.

مضافاً إلى أنّ الراوي عنه عند البخاري هو شعيب، وهو: شعيب ابن أبي حمزة، وهو كاتب الزهري وراويته[1].

ويروي عن شعيب: أبو اليمان، وهو: الحكم بن نافع.

وقد تكلّم العلماء في رواية أبي اليمان عن شعيب، حتّى قيل: لم يسمع منه ولا كلمةً[2].

والراوي عن «الزهري» عند أحمد: سفيان بن حسين، وقد اتّفقوا على عدم الاعتماد على رواياته عن الزهري، فقد ذكر ذلك ابن حجر عن ابن معين وأحمد والنسائي وابن عديّ وابن حبّان. وعن يعقوب بن شيبة: «في حديثه ضعف» وعن عثمان بن أبي شيبة: «كان مضطرباً في الحديث قليلاً» وعن ابن خراش: «ليّن الحديث» وعن

(١) تهذيب التهذيب ٣١٩/٤.

(٢) تهذيب التهذيب ٣٩٦/٢ـ٣٩٧.

أبـــي حـاتم: «لا يـحتجّ بـه» وعـن ابـن سـعد: «يـخطىء فـي حـديثه كثيراً»[١].

هذا، وقد روى الهيثمي هذا الحديث فقال: «رواه أحمد وفـيه: سفيان بن حسين، وهو ضعيف في الزهري، وهذا من حديثه عنه»[٢].

ومنه ما عن حميد عـن أنس، وقـد أخـرجـه النسـائي وأحـمد، وحميد هو: حميد بن أبي حميد الطـويل، وقـد نـصّوا عـلىٰ أنّـه كـان «مدلّساً» وعلىٰ «أنّ أحاديثه عن أنس مـدلّسة»[٣] وهـذا الحـديث مـن تلك الأحاديث. مضافاً إلى أنّ الراوي عنه ـ عند أحمد ـ هو سفيان بـن حسين، وقد عرفته.

هذا، وسواء صحّت الطرق عن أنس أو لم تصحّ فإنّ الكلام فـي أنس نـفسه، فأوّل مـا فـيه كـذبه، وذلك فـي قـضيّة حـديث الطـائر المشويّ، حيث كان رسول الله صلّى الله عـليه وآله وسـلّم قـد دعـا الله سبحانه أن يأتي بعليّ عليه السلام، وكان يترقّب حضوره، فكـان كـلّما يجيء عليٌّ عليه السّلام ليدخل علىٰ النبي صـلّى الله عـليه وآله وسـلّم

(١) تهذيب التهذيب ٤/٩٧ـ٩٨.

(٢) مجمع الزوائد ٥/٣٣١كتاب الخلافة باب الخلفاء الأربعة الرقم ٨٩٣٣.

(٣) تهذيب التهذيب ٣/٣٥ـ٣٦.

قال أنس: «إنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم علىٰ حاجة» حتى غضب رسول الله وقال له: «يا أنس، ما حملك علىٰ ردّه؟!»[١].

ثمّ كتمه الشهادة بالحقّ، وذلك في قضية مناشدة الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام الناس عن حديث الغدير وطلبه الشهادة منهم به، فشهد قوم وأبى آخرون ـ ومنهم أنس ـ فدعى عليهم فأصابتهم دعوته[٢].

ومن المعلوم أنّ الكاذب لا يُقبل خبره، وكتم الشهادة إثم كبير قادح في العدالة كذلك.

حديث عائشة

وأمّا حديث عائشة فقد ذكرنا أنّه هو العمدة في هذه المسألة لكونها صاحبة القصة. ولأنّ حديث غيرها إمّا ينتهي إليها، وإمّا هو حكاية عمّا قالته وفعلته. ولأنّ روايتها أكثر طرقاً من رواية غيرها، وأصحّ إسناداً من سائر الأسانيد، وأتمّ لفظاً وتفصيلاً للقصّة.

---

(١) أخرجه غير واحد من الأئمة في كتبهم، راجع منها المستدرك ٣/١٤١ـ١٤٢ كتاب معرفة الصحابة باب مناقب أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب الرقم ٤٦٥٠ وهو موضوع الجزء من كتابنا الكبير (نفحات الأزهار) فراجع.

(٢) لاحظ: الغدير ١/٣٨٧.

وقد أوردنا الأهمّ من تلك الطرق، والأتمّ من تلك الألفاظ فأمّا البحث حول ألفاظ ومتون الحديث عنها فسيأتي في الفصل اللاحق مع النظر في ألفاظ حديث غيرها.

وأمّا البحث حول سند حديثها، فيكون تارةً بالكلام علىٰ رجال الأسانيد، وأُخرى بالكلام علىٰ عائشة نفسها.

أمّا رجال الأسانيد فإنّ طرق الأحاديث المذكورة عنها تنتهي إلى:

١ ـ الأسود بن يزيد النخعي.

٢ ـ عروة بن الزبير بن العوّام.

٣ ـ مسروق بن الأجدع.

ولا شيء من هذه الطرق بخالٍ عن الطعن والقدح المسقِط عن الاعتبار والاحتجاج

أمّا الحديث عن الأسود عن عائشة

فإنّ «الأسود» من المنحرفين عن أميرالمؤمنين عليه السّلام[1].

والراوي عنه في جميع الأسانيد المذكورة هو إبراهيم بن يزيد

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ٤/٩٧ـ٩٨.

النخعي، وهو من أعلام المدلّسين. قال أبو عبدالله الحاكم ـ في الجنس الرابع من المدلّسين: قوم دلّسوا أحاديث رووها عن المجروحين فغيّروا أساميهم وكناهم كي لا يعرفوا.

وقال: «أخبرني عبدالله بن محمّد بن حمويه الدقيقي، قال حدّثنا جعفر بن أبي عثمان الطيالسي، قال حدّثني خلف بن سالم، قال سمعت عدّة من مشايخ أصحابنا تذاكروا كثرة التدليس والمدلّسين، فأخذنا في تمييز أخبارهم، فاشتبه علينا تدليس الحسن ابن أبي الحسن وإبراهيم بن يزيد النخعي، لأنّ الحسن كثيراً ما يدخل بينه وبين الصحابة أقواماً مجهولين، وربّما دلّس عن مثل عتى بن ضمرة وحنيف بن المنتجب ودغفل بن حنظلة وأمثالهم؛ وإبراهيم أيضاً يدخل بينه وبين أصحاب عبدالله مثل هنى بن نويرة وسهم بن منجاب وخزامة الطائي، وربّما دلّس عنهم»[1].

والراوي عن إبراهيم هو: «سليمان بن مهران الأعمش».. وهو معروف بالتدليس[2]، ذلك التدليس القبيح القادح في العدالة، قال السيوطي ـ في بيان تدليس التسوية ـ: «قال الخطيب: وكان الأعمش

(١) معرفة علوم الحديث: ١٠٧ـ١٠٨.

(٢) تقريب التهذيب ٣٩٢/١.

وسفيان الثوري يفعلون مثل هذا. قال العلائي: وبالجملة، فهذا النوع أفحش أنواع التدليس مطلقاً وشرّها. قال العراقي:
وهو قادح فيمن تعمّد فعله. وقال شيخ الإسلام: لا شكّ أنّه جرح، وإن وصف به الثوري والأعمش فلا اعتذار»[1].

قال الخطيب: «التدليس للحديث مكروه عند أكثر أهل العلم، وقد عظّم بعضهم الشأن في ذمّه، وتبجّح بعضهم بالبراءة منه»[2].

ثمّ روى عن شعبة بن الحجّاج قوله: «التدليس أخو الكذب».

وعنه: «التدليس في الحديث أشدّ من الزنا».

وعنه: «لأنْ أسقط من السماء أحبّ إليَّ من أن أدلّس».

وعن أبي أسامة: «خرّب الله بيوت المدلّسين، ما هم عندي إلاّ كذّابون».

وعن ابن المبارك: «لأن نخرّ من السماء أحبّ إليَّ من أن ندلّس حديثاً».

وعن وكيع: «نحن لا نستحلّ التدليس في الثياب فكيف في الحديث!».

---

(١) تدريب الراوي ١/١٨٨.

(٢) الكفاية في علم الرواية ٣٥٥.

فإذن: يسقط هذا الحديث، بهذا السند، الذي اتّفقوا في الرواية به، فلا حاجة إلى النظر في حال من قبل الأعمش من الرواة.

لكن مع ذلك، نلاحظ أنّ الراوي عن الأعمش عند البخاري وأحمد ـ في احدى طرقهما ـ وعند مسلم والنسائي هو أبو معاوية، وهذا الرجل أيضاً من المدلّسين:

قال السيوطي: «فائدة: أردت أن أسرد هُنا من رمي ببدعته ممّن أخرج لهم البخاري ومسلم أو أحدهما؛ وهم: إبراهيم بن طهمان، أيّوب بن عائذ الطائي، ذرّ بن عبدالله المرهبي، شبابة بن سوار، عبدالحميد بن عبدالرحمن محمّد بن خازم أبو معاوية الضرير، ورقاء بن عمر اليشكري هؤلاء رموا بالأرجاء، وهو تأخير القول في الحكم على مرتكب الكبائر بالنار»[1].

وذكر ابن حجر عن غير واحد أنّه كان مرجئاً خبيثاً، وأنّه كان يدعو إليه[2].

والراوي عن «الأعمش» عند ابن ماجة وأحمد في طريقه الأُخرى هو وكيع بن الجرّاح، وفيه: أنّه كان يشرب المسكر وكان

---

(١) تدريب الراوي ١/٢٧٨ـ٢٨٠.

(٢) تهذيب التهذيب ٩/١١٧.

ملازماً له[١].

ثمّ إنّ الراوي عن أبي معاوية في إحدى طرق البخاري هو حفص بن غياث، وهو أيضاً من المدلّسين[٢].

مضافاً إلى أنّه كان قاضي الكوفة من قبل هارون، وقد ذكروا عن أحمد أنّه: «كان وكيع صديقاً لحفص بن غياث فلمّا وُلّي القضاء هجره»[٣].

وأمّا الحديث عن عروة بن الزبير

فإنّ عروة بن الزبير وُلد في حكومة عمر، فالحديث مرسل، ولابُدّ أنّه يرويه عن عائشة.

وكان عروة من المشهورين بالبغض والعداء لأمير المؤمنين عليه السلام ـ كما عرفت من خبره مع الزهري، والخبر عن ابنه ـ وحتّى حضر يوم الجمل على صغر سنّه[٤]، وقد كان هو والزهري يضعان الحديث في تنقيص الإمام والزهراء الطاهرة عليهما السلام، فقد روى

(١) تذكرة الحفّاظ ١/٣٠٧ـ٣٠٨، ميزان الاعتدال ٧/١٢٧.

(٢) تهذيب التهذيب ٢/٣٧٥.

(٣) تهذيب التهذيب ١١/١١١.

(٤) تهذيب التهذيب ٧/١٦١.

الهيثمي عنه حديثاً ـ وصحّحه ـ في فضل زينب بنت رسول الله، جاء فيه أنّه صلّى الله عليه وآله وسلّم كان يقول: «هي خير بناتي» قال: «فبلغ ذلك عليّ بن حسين، فانطلق إليه فقال: ما حديث بلغني عنك أنّك تحدّثه تنقص حقّ فاطمة؟! فقال: لا أحدّث به أبداً»[١].

والراوي عنه ولده «هشام» في رواية البخاري ومسلم والترمذي وابن ماجة وهو أيضاً من المدلّسين، فقد قالوا: كان ينسب إلى أبيه ما كان يسمعه من غيره. وذكروا أنّ مالكاً كان لا يرضاه، قال ابن خراش: «بلغني أنّ مالكاً نقم عليه حديثه لأهل العراق، قدم الكوفة ثلاث مرّات، قدمةً كان يقول: حدّثني أبي قال: سمعت عائشة. وقدم الثانية فكان يقول: أخبرني أبي عن عائشة. وقدم الثالثة فكان يقول: أبي عن عائشة»[٢] وهذا الحديث من تلك الأحاديث.

وأمّا الحديث عن عبيدالله بن عبدالله عن عائشة

فإنّ الرّاوي عن «عبيدالله» عند البخاري ومسلم والنسائي هو

(١) مجمع الزوائد ٣٤٢/٩ كتاب المناقب باب ما جاء في فضل زينب بنت رسول الله الرقم ١٥٢٣١.

(٢) تهذيب التهذيب ٤٦/١١.

«موسى بن أبي عائشة» وقد قال ابن أبي حاتم سمعت أبي[1] يقول: «تُريبني رواية موسى بن أبي عائشة حديث عبيدالله بن عبدالله في مرض النبي صلّى الله عليه وسلّم»[2].

وعند أبي داود وأحمد هو: الزهري ـ لكن عند الأول يرويه عن عبيدالله، عن عبدالله بن زمعة ـ والزهري مَن قد عرفتَه سابقاً.

هذا، مضافاً إلى ما في عبيدالله بن عبدالله نفسه فقد روى ابن سعد، عن مالك بن أنس، قال: «جاء عليُّ بن حسين بن عليّ بن أبي طالب إلى عبيدالله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود يسأله عن بعض الشيء!! وأصحابه عنده وهو يصلّي، فجلس حتّى فرغ من صلاته ثمّ أقبل عليه عبيدالله.

فقال أصحابه: أمتع الله بك، جاءك هذا الرجل وهو ابن ابنة رسول الله وفي موضعه، يسألك عن بعض الشيء!! فلو أقبلت عليه فقضيت حاجته ثمّ أقبلت على ما أنت فيه!

فقال عبيدالله لهم: أيهات! لابُدّ لمن طلب هذا الشأن من

---

(١) هو: محمّد بن إدريس الرازي، أحد كبار الأئـمّة الحفّاظ المعتمدين في الجرح والتعديل. توفّي سنة ٢٧٧ تقريباً. توجد ترجمته في: تذكرة الحفّاظ ٥٦٧/٢، تاريخ بغداد ٧٠/٢ وغيرهما من المصادر الرجالية.

(٢) تهذيب التهذيب ٣١٥/١٠.

أن يتعنّى !!»[1].

وأمّا الحديث عن مسروق بن الأجدع عن عائشة

ففيه:

١ ـ «أبو وائل» وهو «شقيق بن سلمة» يرويه عن «مسروق» وقد قال عاصم بن بهدلة: «قيل لأبي وائل: أيّهما أحبّ إليك عليّ أو عثمان؟ قال: كان عليّ أحبّ إليّ ثم صار عثمان!!»[2].

٢ ـ «نعيم بن أبي هند» يرويه عن «أبي وائل» عند النسائي وأحمد بن حنبل. و«نعيم» قد عرفته سابقاً.

ثمّ إنّ في إحدى طريقي أحمد عن «نعيم» المذكور: «شبابة بن سوار» وقد ذكروا بترجمته أنّه كان يرى الإرجاء ويدعو إليه، فتركه أحمد وكان يحمل عليه، وقال أبو حاتم: لا يحتجّ بحديثه[3]، وقد أورده السيوطي في الفائدة المذكورة، وحكى ابن حجر في ترجمته ما يدلّ على بغضه لأهل بيت النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم[4].

---

(١) طبقات ابن سعد ١٦٦/٥، وقد أوردناه من باب الإلزام كما لا يخفى.

(٢) تهذيب التهذيب ٣٢٩/٤.

(٣) تهذيب التهذيب ٢٧٤/٤، تاريخ بغداد ٢٩٨/٩.

(٤) تهذيب التهذيب ٢٧٥/٤.

كلمةٌ حول عائشة

هذا، ويبقى الكلام في عائشة نفسها، فقد وجدناها تريد كلّ شأن وفضيلةٍ لنفسها وأبيها ومن تحبّ من قرابتها وذويها فكانت إذا رأت النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم يلاقي المحبّة من احدى زوجاته ويمكث عندها تارث عليها كما فعلت مع زينب بنت جحش، إذ تواطأت مع حفصة أن أيّتهما دخل عليها النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم فلتقل: «إنّي لأجد منك ريح مغافير حتّى يمتنع عن أن يمكث عند زينب ويشرب عندها عسلاً»[١].

وإذا رأته يذكر خديجة عليها السلام بخير ويثني عليها قالت: «ما أكثر ما تذكرها حمراء الشدق ؟! قد أبدلك الله عزّوجلّ بها خيراً منها...»[٢].

وإذا رأته مقدماً علىٰ الزواج من امرأةٍ، حالت دون ذلك بالكذب والخيانة، فقد حدّثت أنّه صلّى الله عليه وآله وسلّم أرسلها لتطّلع علىٰ امرأةٍ من كلب قد خطبها فقال لعائشة: «ما رأيت ؟ فقالت:

(١) هذه من القضايا المشهورة فراجع كتب الحديث والتفسير بتفسير سورة التحريم.

(٢) مسند أحمد ١٧٠/٧ حديث السيدة عائشة الرقم ٢٤٣٤٣.

ما رأيت طائلاً! فقال لها رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: لقد رأيت طائلاً لقد رأيت خالاً بخدّها اقشعرَّت كلّ شعرةٍ منك، فقالت: يا رسول الله ما دونك سر»[1].

ولقد ارتكبت ذلك حتّى بتوهّم زواجه صلّى الله عليه وآله وسلّم فقد ذكرت: أنّ عثمان جاء النبي في نحر الظهيرة فظننتُ أنّه جاءه في أمر النساء، فحملتني الغيرة علىٰ أن أصغيت إليه...»[2].

أمّا بالنسبة إلى مَن تكرهه فكانت حرباً شعواء من ذلك مواقفها من الإمام أميرالمؤمنين عليه السّلام فقد «جاء رجل فوقع في عليّ وفي عمّار رضي الله تعالى عنهما عند عائشة. فقالت: أمّا عليّ فلستُ قائلةً لك فيه شيئاً، وأمّا عمّار فإنّي سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول: لا يخيّر بين أمرين إلاّ اختار أرشدهما»[3].

بل كانت تضع الحديث تأييداً ودعماً لجانب المناوئين له عليه السلام فقد قال النعمان بن بشير: «كتب معي معاوية إلى عائشة قال: فقدمت علىٰ عائشة فدفعت إليها كتاب معاوية. فقالت: يا بُني ألا

---

(١) طبقات ابن سعد ١٢٧/٨، كنز العمّال ١٨٨/١٢ كتاب الفضائل باب فضائل النبيّ الرقم ٣٥٤٥٥.

(٢) مسند أحمد ١٦٥/٧ حديث السيدة عائشة الرقم ٢٤٣١٦.

(٣) مسند أحمد ١٦٣/٧ حديث السيدة عائشة الرقم ٢٤٢٩٩.

أُحدّثك بشيء سمعته من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ؟

قلت : بلى .

قالت : فإنّي كنت أنا وحفصة يوماً من ذاك عند رسول الله .

فقال : لو كان عندنا رجل يحدّثنا .

فقلت : يا رسول الله ، ألا أبعث لك إلى أبي بكر ؟ فسكت .

ثمّ قال : لو كان عندنا رجل يحدّثنا .

فقالت حفصة : ألا أُرسل لك إلى عمر ؟ فسكت .

ثمّ قال : لا . ثم دعا رجلاً فسارّه بشيء .

فما كان إلاّ أن أقبل عثمان ، فأقبل عليه بوجهه وحديثه فسمعته يقول له : يا عثمان ، إنّ الله عزّوجلّ لعلّه أن يقمصك قميصاً ، فإن أرادوك على خلعه فلا تخلعه ، ثلاث مرار .

قال : فقلت : يا أُمّ المؤمنين ، فأين كنتِ عن هذا الحديث ؟!

فقالت : يا بُني ، والله لقد أُنسيته حتّى ما ظننت أنّي سمعته »[1] .

قال النعمان بن بشير : « فأخبرته معاوية بن أبي سفيان . فلم يرض بالذي أخبرته ، حتّى كتب إلى أُمّ المؤمنين أن اكتبي إليَّ به .

---

(١) مسند أحمد ٧/٢١٤ـ٢١٥ حديث السيدة عائشة الرقم ٢٦٤٣٦ .

فكتبت إليه به كتاباً »[1].

فانظر كيف أيّدت ـ في تلك الأيّام ـ معاوية علىٰ مطالبته الكاذبة بدم عثمان! وكيف اعتذرت عن تحريضها الناس على قتل عثمان! ولا تغفل عن كتمها اسم الرجل الذي دعاه النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ بعد أن أبى عن الإرسال خلف أبي بكر وعمر ـ وهو ليس إلاّ أميرالمؤمنين ولكنّها لا تطيب نفساً بعليّ كما قال ابن عبّاس، وسيأتي.

فإذا كان هذا حالها وحال رواياتها في الأيّام العاديّة... كان من الطبيعي أن تصل هذه الحالة فيها إلى أعلى درجاتها في الأيام والساعات الأخيرة من حياة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، وأن تكون أخبارها عن أحواله في تلك الظروف أكثر حسّاسية... فتراها تقول:

«لمّا ثقل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لعبد الرحمن بن أبي بكر: ائتني بكتف وألواحٍ حتّى أكتب لأبي بكر كتاباً لا يختلف عليه. فلمّا ذهب عبدالرحمن ليقوم قال: أبى الله والمؤمنون أن يُختلف عليك يا أبابكر »[2].

---

(١) مسند أحمد ١٢٧/٧ حديث السيدة عائشة الرقم ٢٤٠٤٥.

(٢) مسند أحمد ٧١/٧ حديث السيدة عائشة الرقم ٢٣٦٧٩.

وتقول:

«لمّا ثقل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم جاء بلال يؤذنه بالصلاة. فقال: مروا أبا بكر فليصلِّ بالناس...»[1].

وتقول:

«قبض رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ورأسه بين سحري ونحري...»[2].

تقول هذا وأمثاله...

لكن عندما يأمر صلّى الله عليه وسلّم بأن يدعى له عليّ لا يمتثل أمره، بل يقترح عليه أن يدعى أبوبكر وعمر! يقول ابن عبّاس:

«لمّا مرض رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مرضه الذي مات فيه كان في بيت عائشة رضي الله عنها، فقال: ادعوا إلي عليّاً. قالت عائشة رضي الله عنها: ندعو لك أبا بكر؟ قال: ادعوه، قالت حفصة: يا رسول الله، ندعو لك عمر؟ قال ادعوه. قالت أُمّ الفضل: يا رسول الله، ندعو لك العبّاس؟ قال: ادعوه. فلمّا اجتمعوا رفع رأسه فلم ير عليّاً فقال عمر رضي الله عنه: قوموا عن رسول الله صلّى الله عليه

(١) مسند أحمد ٣١٩/٧ حديث السيدة عائشة الرقم ٢٥٣٤٨.

(٢) مسند أحمد ١٧٥/٧ حديث السيدة عائشة الرقم ٢٤٣٨٤.

وسلّم ... »[١].

وعندما يخرج إلى الصلاة ـ وهو يتهادى بين رجلين ـ تقول عائشة: «خرج يتهادى بين رجلين أحدهما العبّاس» فلا تذكر الآخر. فيقول ابن عبّاس:

«هو عليٌّ ولكن عائشة لا تقدر علىٰ أن تذكره بخير »[٢].

فإذا عرفناها تبغض عليّاً إلى حدٍّ لا تقدر أن تذكره بخير، ولا تطيب نفسها به ... وتحاول إبعاده عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ... وتدّعي لأبيها ولنفسها ما لا أصل له ... بل لقد حدّثت أُمّ سلمة رضي الله عنها بالأمر الواقع فقالت:

«والذي أحلف به، إن كان عليّ لأقرب الناس عهداً برسول الله صلّى الله عليه وسلّم. قالت: عدنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم غداة بعد غداة يقول: جاء عليٌّ ؟!! ـ مراراً ـ قالت: وأظنّه كان بعثه في حاجة قالت: فجاء بعدُ، فظننت أنّ له إليه حاجة، فخرجنا من البيت، فقعدنا عند الباب، فكنت من أدناهم إلى الباب، فأكبَّ عليه عليٌّ فجعل يسارّه ويناجيه، ثمّ قبض رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من

(١) مسند أحمد ٥٨٨/١ مسند عبدالله بن عباس الرقم ٣٣٤٥.

(٢) عمدة القاري ١٩٢/٥.

يومه ذلك، فكان أقرب الناس به عهداً[١].

إذا عرفنا هذا كلّه ـ وهو قليل من كثير ـ استيقنّا أنّ خبرها في أنّ صلاة أبيها كان بأمرٍ من النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم، وأنّه خرج فصلّى خلفه ـ كما في بعض الأخبار عنها ـ... من هذا القبيل ... وممّا يؤكّد ذلك اختلاف النقل عنها في القضية وهي واحدة ... كما سنرى عن قريب ....

(١) مسند أحمد ٤٢٦/٧ حديث السيدة أُم سلمة الرقم ٢٦٠٢٥، المستدرك ١٤٩/٣ كتاب معرفة الصحابة، مناقب أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب الرقم ٤٦٧١، تاريخ دمشق ٣٠١/٤٥، الخصائص: ٢١٦ ذكر أحدث الناس عهداً برسول الله الرقم ١٥٥.

(٣)
تأمّلات في متن الحديث ومدلوله

قد عرفت أنّ الحديث بجميع طرقه وأسانيده المذكورة ساقط عن الإعتبار.

فإن قلت: إنّه ممّا اتّفق عليه أرباب الصحاح والمسانيد والمعاجم وغيرهم، ورووه عن جمع من الصحابة، فكيف تقول بسقوطه بجميع طرقه؟

قلت أولاً: لقد رأيت في «النظر في الأسانيد والطرق» أنّ رجال أسانيده مجروحون بأنواع الجرح، ولم نكن نعتمد في «النظر» إلاّ علىٰ أشهر كتب القوم في الجرح والتعديل، وعلى كلمات أكابر علمائهم في هذا الباب.

وثانياً: إنّ الذي عليه المحقّقون من علماء الحديث والرجال والكلام: أنّ الكتب الستّة فيها الصحيح والضعيف والموضوع، وإنّ الصحابة فيهم العدل والمنافق والفاسق وهذا ما حقّقناه في بعض

بحوثنا[١].

نعم، المشهور عندهم القول بأصالة العدالة في الصحابة، والقول بصحّة ما أُخرج في كتابي البخاري ومسلم، لكنهما مشهوران لا أصل لهما.

أمّا بالنسبة إلى حديث «صلاة أبي بكر» فلم أجد أحداً يطعن فيه، لكن لا لكونه في الصحاح، بل الأصل في قبوله وتصحيحه كونه من أدلّة خلافة أبي بكر عندهم، ولذا تراهم يستدلّون به في الكتب الكلامية وغيرها.

من كلمات المستدلّين بالحديث على الإمامة

قال القاضي عضد الدين الايجي ـ في الأدلّة الدالّة بزعمه على إمامة أبي بكر ـ:

«الثامن: إنّه صلّىٰ الله عليه وسلّم استخلف أبابكر في الصّلاة وما عزله فيبقى إماماً فيها، فكذا في غيرها، إذ لا قائل بالفصل، ولذلك قال عليٌّ رضي الله عنه: قدّمك رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم

(١) راجع رسالتنا في حديث أصحابي كالنجوم، ومحاضرتنا في الصحابة.

في أمر ديننا، أفلا نقدّمك في أمر دنيانا ؟![1].

وقال الفخر الرازي ـ في حجج خلافة أبي بكر ـ:

«الحجّة التاسعة: إنّه عليه السلام استخلفه على الصلاة أيّام مرض موته وما عزله عن ذلك، فوجب أن يبقى بعد موته خليفةً له في الصلاة، وإذا ثبتت خلافته في الصلاة ثبتت خلافته في سائر الأُمور، ضرورة أنّه لا قائل بالفرق»[2].

وقال الأصفهاني:

«الثالث: إنّ النبي استخلف أبابكر في الصلاة أيّام مرضه، فثبت استخلافه في الصلاة بالنقل الصحيح، وما عزل النبي أبابكر رضي الله عنه عن خلافته في الصلاة، فبقي كون أبي بكر خليفةً في الصلاة بعد وفاته، وإذا ثبت خلافة أبي بكر في الصلاة بعد وفاته، ثبت خلافته بعد وفاته في غير الصلاة، لعدم القائل بالفصل»[3].

وقال النيسابوري صاحب التفسير، بتفسير آية الغار:

---

(١) هذا كلام موضوع قطعاً، والذي جاء به... مرسلاً كما في الاستيعاب ٩٧/٣ هو الحسن البصري المعروف بالإرسال والتدليس والانحراف عن أميرالمؤمنين عليه السلام !!

(٢) الأربعين في أصول الدين: ٢٩٢/٢.

(٣) مطالع الأنظار في شرح طوالع الأنوار في علم الكلام: ٢٣٣.

«استدلّ أهل السُنّة بالآية علىٰ أفضليّة أبي بكر وغاية اتّحاده ونهاية صحبته وموافقة باطنه ظاهره، وإلاّ لم يعتمد الرسول عليه في مثل تلك الحالة، وأنّه كان ثاني رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم في العلم لقوله صلّىٰ الله عليه وسلّم: ما صبَّ في صدري شيء إلاّ وصببته في صدر أبي بكر[1]. وفي الدعوة إلى الله، لأنّه صلّىٰ الله عليه وسلّم عرض الإيمان أولاً على أبي بكر فآمن، ثمّ عرض أبو بكر الإيمان علىٰ طلحة والزبير وعثمان بن عفّان وجماعة أُخرى من أجلّة الصحابة، وكان لا يفارق الرسول صلّىٰ الله عليه وسلّم في الغزوات وفي أداء الجماعات وفي المجالس والمحافل، وقد أقامه في مرضه مقامه في الإمامة ...»[2].

وقال الكرماني بشرح الحديث:

«وفيه فضيلة أبي بكر رضي الله عنه وترجيحه علىٰ جميع الصحابة، وتنبيه علىٰ أنّه أحقّ بخلافة رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم من غيره»[3].

---

(١) هذا حديث موضوع، أُنظر: الرسالة في الأحاديث المقلوبة.

(٢) غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٣/٤٧١.

(٣) الكواكب الدراري ٥/٥٢.

وقال العيني:

«(ذكر ما يستفاد منه)، وهو علىٰ وجوه: الأول: فيه دلالة علىٰ فضل أبي بكر رضي الله تعالى عنه. الثّاني: فيه أنّ أبابكر صلّى بالناس في حياة النبي عليه الصلاة والسلام، وكانت في هذه الإمامة التي هي الصغرى دلالة علىٰ الإمامة الكبرى. الثالث: فيه أنّ الأحقّ بالإمامة هو الأعلم»[1].

وقال النووي:

«فيه فوائد: منها: فضيلة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وترجيحه علىٰ جميع الصحابة رضوان الله عليهم وتفضيله، وتنبيه على أنّه أحقّ بخلافة رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم من غيره. ومنها: أنّ الإمام إذا عرض له عذر عن حضور الجماعة استخلف من يصلّي بهم، وأنّه لا يستخلف إلاّ أفضلهم. ومنها: فضيلة[2] عمر بعد أبي بكر رضي الله عنه، لأنّ أبابكر لم يعدل إلى غيره»[3].

---

(١) عمدة القاري ٢٠٣/٥.

(٢) وذلك لأنّ أبابكر قال لعمر: صلِّ للنّاس... وكأنّ أقوال أبي بكر وأفعاله حجّة؟! علىٰ أنّهم وقعوا في إشكال في هذه الناحية، كما ستعرف!

(٣) المنهاج ـ شرح صحيح مسلم ١١٦/٤.

وقال المناوي بشرحه:

«تنبيه، قال أصحابنا في الأُصول: يجوز أن يجمع عن قياس، كإمامة أبي بكر هنا، فإنّ الصحب أجمعوا علىٰ خلافته ـ وهي الإمامة العظمى ـ ومستندها القياس علىٰ الإمامة الصغرى، وهي الصلاة بالناس بتعيين المصطفى صلّىٰ الله عليه وسلّم»[1].

وفي «فواتح الرحموت بشرح مسلَّم الثبوت» في مبحث الإجماع: «(مسألة: جاز كون المستند قياساً، خلافاً للظّاهرية) وابن جرير الطبري، (فبعضهم منع الجواز) عقلاً (وبعضهم منع الوقوع) وإن جاز عقلاً (والآحاد) أي أخبار الآحاد (قيل كالقياس) اختلافاً. (لنا: لا مانع ... (وقد وقع قياس الإمامة الكبرى) وهي الخلافة العامة (علىٰ إمامة الصلاة ... والحقّ أنّ أمره صلّىٰ الله عليه وسلّم إيّاه بإمامة الصلاة كانَ إشارة إلى تقدّمه في الإمامة الكبرى علىٰ ما يقتضيه ما في صحيح مسلم ...»[2].

لكنّك قد عرفت أنّ الحديث ليس له سند معتبر في الصحاح فضلاً عن غيرها، ومجرّد كونه فيها ـ وحتّى في كتابي البخاري ومسلم ـ

(١) فيض القدير ـ شرح الجامع الصغير ٥/٦٦٥.

(٢) فواتح الرّحموت بشرح مسلَّم الثبوت ٢/٢٣٩ـ٢٤٠.

لا يغني عن النظر في سنده وعلىٰ هذا، فلا أصل لما ذكروا، ولا أساس لما بنوا في العقائد وفي الفقه وفي علم الأصول.

لا دلالة للاستخلاف في إمامة الصلاة علىٰ الخلافة

وعلىٰ فرض صحّة حديث أمر النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم أبابكر بالصلاة في مقامه فإنّه لا دلالة لذلك علىٰ الإمامة الكبرى والخلافة العظمى لأنّ النبي كان إذا خرج عن المدينة نصب فيها من يصلّي بالناس بل إنّه استخلف ـ فيما يروون ـ ابن أُمّ مكتوم للإمامة وهو أعمى، وقد عقد أبو داود في (سننه) باباً بهذا العنوان فروى فيه هذا الخبر وهذه عبارته: «باب إمامة الأعمى: حدّثنا محمّد بن عبدالرحمن العنبري أبو عبدالله، ثنا ابن مهدي، ثنا عمران القطّان، عن قتادة، عن أنس: أنّ النبي صلّىٰ الله عليه وسلّم استخلف ابن أُمّ مكتوم يؤمّ الناس وهو أعمى»[1] فهل يقول أحد بإمامة ابن أُمّ مكتوم لأنّه استخلفه في الصلاة؟!

ولقد اعترف بما ذكرنا ابن تيميّة ـ الملقب بـ«شيخ الإسلام» ـ حيث قال: «فالاستخلاف في الحياة نوع نيابة لابدّ منه لكل وليّ أمر،

(١) سنن أبي داود ٢٠٣/١ كتاب الصلاة باب إمامة الأعمىٰ الرقم ٥٩٥.

وليس كلّ [من] يصلح للاستخلاف في الحياة علىٰ بعض الأمّة يصلح أن يستخلف بعد الموت، فإنّ النبي صلّىٰ الله عليه وسلّم استخلف في حياته غير واحد، ومنهم من لا يصلح للخلافة بعد موته، كما استعمل ابن أمّ مكتوم الأعمى في حياته وهو لا يصلح للخلافة بعد موته، وذلك كبشير بن [عبد] المنذر وغيره»[1].

بل لقد رووا أنّه صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم صلّى خلف عبدالرحمن بن عوف، وهو ـ لو صحّ ـ لم يدلّ علىٰ استحقاقه الخلافة من بعده، ولذا لم يدّعها أحد له لكنّه حديث باطل لمخالفته للضرورة القاضية بأنّ النبي لا يصلّي خلف أحد من أُمّته فلا حاجة إلى النظر في سنده.

وعلىٰ الجملة، فإنّه لا دلالة لحديث أمر أبي بكر بالصلاة، ولا لحديث صلاته صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم خلفه على امامته من بعده، حتّى لو تمّ الحديثان سنداً.

وأمّا سائر الدلالات الاعتقادية والفقهية والأُصولية التي يذكرونها مستفيدين إيّاها من حديث الأمر بالصلاة في الشروح والتعاليق فكلّها متوقّفة على ثبوت أصل القضية وتماميّة الأسانيد

(١) منهاج السُنّة ٣٣٩/٧.

الحاكية لها وقد عرفت أن لا شيء من تلك الأسانيد بصحيح، فأمره صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم في مرضه أبابكر بالصلاة في موضعه غير ثابت.

وجوه كذب أصل القضيّة

بل الثابت عدمه... وذلك لوجوه عديدةٍ يستخرجها الناظر المحقّق في القضيّة وملابساتها من خلال كتب الحديث والتاريخ والسيرة... وهي وجوه قويّة معتمدة، تفيد ـ بمجموعها ـ أنّ القضيّة مختلقة من أصلها، وأنّ الذي أمر أبابكر بالصلاة في مقام النبي صلّىٰ الله عليه وسلّم في أيّام مرضه ليس النبي بل غيره.

فلنذكر تلك الوجوه باختصار:

١ ـ كون أبي بكر في جيش أُسامة

لقد أجمعت المصادر علىٰ قضية سرية أُسامة بن زيد، وأجمعت علىٰ أنّ النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم أمر مشايخ القوم: أبابكر وعمرو... بالخروج معه وهذا أمر ثابت محقّق... وبه اعترف ابن حجر العسقلاني في (شرح البخاري) وأكّده بشرح «باب بعث النبي

صلّىٰ الله عليه وسلّم أُسامة بن زيد رضي الله عنهما في مرضه الذي توفّي فيه» فقال: «كان تجهيز أُسامة يوم السبت قبل موت النبي بيومين؛ فبدأ برسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم وجعه في اليوم الثالث، فعقد لأُسامة لواءً بيده، فأخذه أُسامة فدفعه إلى بريدة وعسكر بالجرب، وكان ممّن ندب: مع أُسامة كبار المهاجرين والأنصار منهم: أبو بكر وعمر وأبو عبيدة وسعد وسعيد وقتادة بن النعمان وسلمة بن أسلم، فتكلّم في ذلك قوم... ثمّ اشتدّ برسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم وجعه فقال: أنفذوا بعث أُسامة.

وقد روي ذلك عن الواقدي وابن سعد وابن إسحاق وابن الجوزي وابن عساكر...»[1].

فالنبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم أمر بخروج أبي بكر مع أُسامة، وقال في آخر لحظةٍ من حياته: «أنفِذوا ـ أو: جهّزوا ـ بعثَ أُسامة» بل في بعض المصادر «لعن الله من تخلّف عن بعث أُسامة»[2].

---

(١) فتح الباري ١٩٢/٨.

(٢) شرح المواقف ٣٧٦/٨ الملل والنحل ١٤/١ لأبي الفتح الشهرستاني، المتوفّى سنة ٤٥٨، توجد ترجمته والثناء عليه في: وفيات الأعيان ٢٧٣/٤، تذكرة الحفّاظ ←

هذا أوّلاً .

وثانياً : لقد جاء في صريح بعض الروايات كون أبي بكر غائباً عن المدينة . ففي (سنن أبي داود) عن ابن زمعة : « وكان أبو بكر غائباً ، فقلت : يا عمر ، قم فصلّ بالناس » .

وثالثاً : في كثير من ألفاظ الحديث « فأرسلنا إلى أبي بكر » ونحو ذلك ، ممّا هو ظاهر في كونه غائباً .

وعلىٰ كلّ حال ، فالنبي الذي بعث أُسامة ، وأكّد علىٰ بعثه ، بل لعن من تخلّف عنه ... لا يعود فيأمر بعض من أمر بالخروج معه بالصلاة بالناس ، وقد عرفت أنّه صلّىٰ الله عليه وسلّم كان إذا غاب أو لم يمكنه الحضور للصلاة ، استخلف واحداً من المسلمين وإن كان ابن أُمّ مكتوم الأعمى .

٢ ـ التزامه بالحضور للصلاة بنفسه ما أمكنه

وكما ذكرنا ، فالنبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ما كان يستخلف للصلاة إلاّ في حال خروجه عن المدينة ، أو في حالٍ لم يمكنه الخروج

← ١٣١٣/٤ طبقات الشافعية للسبكي ١٢٨/٦ ، شذرات الذهب ١٤٩/٤ ، مرآة الجنان ٢٨٩/٣ـ٢٩٠ وغيرها .

معها إلى الصلاة وإلاّ، فقد كان صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ملتزماً بالحضور بنفسه ويدلّ عليه ما جاء في بعض الأحاديث أنّه لَمّا ثقل قال: «أصلّى الناس؟ قلنا: لا، هم ينتظرونك. قال: ضعوا لي ماءً...» فوضعوا له ماءً فاغتسل، فذهب لينوء فأغمي عليه[1] وهكذا إلى ثلاث مرّات... وفي هذه الحالة صلّى أبوبكر بالناس، فهل كانت بأمرٍ منه؟!

بل في بعض الأحاديث أنّه كان إذا لم يخرج لعارضٍ حضره المسلمون إلى البيت فصلّوا خلفه.

فقد أخرج مسلم عن عائشة، قالت: «اشتكى رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم فدخل عليه ناس من أصحابه يعودونه، فصلّى رسول الله جالساً فصلّوا بصلاته قياماً».

وعن جابر قال: «اشتكى رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم فصلّينا وراءه وهو قاعد وأبو بكر يُسمع الناس تكبيره»[2].

وأخرج أحمد عن عائشة: «أنّ رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم صلّى في مرضه وهو جالس، فصلّى وخلفه قوم قياماً...»[3].

---

(١) في أنّ النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم يغمى عليه ـ بما للكلمة من المعنى الحقيقي ـ أو لا، كلاماً بين العلماء لا نتعرّض له، لكونه بحثاً عقائدياً ليس هذا محلّه.

(٢) صحيح مسلم ٣٩١/١ كتاب الصلاة باب ائتمام المأموم بالإمام. الأرقام ٤١٢ و ٤١٣.

(٣) مسند أحمد ٨٦/٧ حديث السيدة عائشة الرقم ٢٣٧٨٢.

ويشهد لِما ذكرنا ـ من ملازمته للحضور إلى المسجد والصلاة بالمسلمين بنفسه ـ ما جاء في كثير من أحاديث القصّة من أنّ بلالاً دعاه إلى الصلاة، أو آذنه بالصلاة، فهو كان يجيء متى حان وقت الصلاة إلى النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ويعلمه بالصلاة، فكان يخرج بأبي هو وأُمّي بنفسه ـ وفي أيّ حالٍ من الأحوال كان ـ إلى الصلاة ويصلّي بالناس.

٣ ـ استدعاؤه عليّاً عليه السّلام

فأبوبكر وغيره كانوا بالجرف ـ الموضع الذي عسكر فيه أُسامة خارج المدينة ـ وهو صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم كان يصلّي بالمسلمين وعليٌّ عنده إذ لم يذكر أحد أنّه صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم أمره بالخروج مع أُسامة...

حتّى اشتدّ به الوجع... ولم يمكنه الخروج... فقال بلال: «يا رسول الله، بأبي أنت وأُمي من يصلّي بالناس؟»[1] هنالك دعا عليّاً عليه السّلام قائلاً: «ابعثوا إلىٰ علي فادعوه» فقالت عائشة: «لو بعثت إلى أبي بكر» وقالت حفصة: «لو بعثت إلىٰ عمر» فما دُعي عليٌّ

(١) مسند أحمد ٤/٦٠ مسند أنس بن مالك الرقم ١٢٦٨٠.

ولكن القوم حضروا أو أُحضروا !! «فاجتمعوا عنده جميعاً. فقال رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم: انصرفوا. فإن تك لي حاجة أبعث إليكم، فانصرفوا»[1].

إنّه كان يريد عليّاً عليه السلام ولا يريد أحداً من القوم، وكيف يريدهم وقد أمرهم بالخروج مع أُسامة، ولم يعدل عن أمره ؟!

٤ ـ أمره بأن يصلّي بالمسلمين أحدهم

فإذ لم يحضر عليٌّ، ولم يتمكّن من الحضور للصلاة بنفسه، والمفروض خروج المشايخ وغيرهم إلى جيش أُسامة، أمر بأن يصلّي بالناس أحدهم وذاك ما أخرجه أبو داود عن ابن زمعة فقال:

«لما استعزّ برسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم وأنا عنده في نفر من المسلمين، دعاه بلال إلى الصلاة فقال: مروا من يصلّي بالناس».

وفي حديث أخرجه ابن سعد عنه قال: «عدتُ رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم في مرضه الذي توفّي فيه، فجاءه بلال يؤذنه بالصلاة فقال لي رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم: مر الناس فليصلّوا.

قال عبدالله: فخرجت فلقيت ناساً لا أُكلّمهم، فلمّا لقيت عمر

(١) تاريخ الطبري ٢/٤٣٩.

ابن الخطّاب لم أبغ من وراءه، وكان أبو بكر غائباً، فقلت له: صلِّ بالناس يا عمر. فقام عمر في المقام فقال عمر: ما كنت أظنّ حين أمرتني إلاّ أن رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم أمرك بذلك، ولولا ذلك ما صلّيت بالناس.

فقال عبدالله: لمّا لم أر أبابكر رأيتك أحقّ من غيره بالصلاة»[1].

وفي خبر عن سالم بن عبيد الأشجعي قال: «إنّ النبي صلّىٰ الله عليه وسلّم لمّا اشتدّ مرضه أُغمي عليه، كلّما أفاق قال: مروا بلالاً فليؤذّن، ومروا بلالاً فليصلّ بالناس»[2].

وقد كان من قبل قد استخلف ابن أُمّ مكتوم ـ وهو مؤذّنه ـ في الصلاة بالناس كما عرفت.

٥ ـ قوله: إنكنّ لصويحبات يوسف

وجاء في الأحاديث أنّه صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم قال لعائشة

---

(١) الطبقات الكبرى ٢/١٧٠.

(٢) بغية الطلب في تاريخ حلب ٩/٤١٥٢، لكمال الدين ابن العديم الحنفي، المتوفّى سنة ٦٦٠. ترجم له الذهبي واليافعي وابن العماد في تواريخهم وأثنوا عليه. وقال ابن شاكر الكتبي: «وكان محدّثاً حافظاً مؤرّخاً صادقاً فقيهاً مفتياً منشئاً بليغاً كاتباً مجوّداً ...» فوات الوفيات ٣/١٢٦.

وحفصة: «إنّكنّ لصويحبات يوسف!» وهو يدلّ علىٰ أنّه قد وقع من المرأتين ـ مع الإلحاح الشديد والحرص الأكيد ـ ما لا يرضاه النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم فما كان ذلك؟ ومتى كان؟

إنّ النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم لمّا عجز عن الحضور للصلاة بنفسه، وطلب عليّاً فلم يُدع له ـ بل وجد الإلحاح والإصرار من المرأتين على استدعاء أبي بكر وعمر، فأمر من يصلّي بالناس، والمفروض كون المشايخ في جيش أسامة ـ أُغمي عليه كما في الحديث، وما أفاق إلاّ والناس في المسجد وأبوبكر يصلّي بهم فعلم أنّ المرأتين قد قامتا بما كانتا ملحّتين عليه ونفذّتاه فقال: «إنّكنّ لصويحبات يوسف» ثمّ بادر إلى الخروج معجّلاً معتمداً علىٰ رجلين، ورجلاه تخطّان في الأرض كما سيأتي.

فمن تشبيه حالهنّ بحال صويحبات يوسف يعلم ما كان يخفين في أنفسهنّ، ويستفاد عدم رضاه صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم بفعلهن مضافاً إلى خروجه...

فلو كان هو الذي أمر أبابكر بالصلاة لما رجع باللّوم عليهنّ، ولا بادر إلى الخروج وهو علىٰ تلك الحال.

ولكن شرّاح الحديث ـ الّذين لا يريدون الاعتراف بهذه

الحقيقة ـ اضطربوا في شرح الكلمة ومناسبتها للمقام:

قال ابن حجر: «إنّ عائشة أظهرت أنّ سبب إرادتها صرف الإمامة عن أبيها، كونه لا يسمع المأمومين القراءة، لبكائه، ومرادها زيادة علىٰ ذلك هو أن لا يتشاءم الناس به، وقد صرّحت هي فيما بعد بذلك... وبهذا التقرير يندفع إشكال من قال: إنّ صواحب يوسف لم يقع منهنّ إظهار يخالف ما في الباطن»[1].

قلت: لكنّه كلام بارد، وتأويل فاسد.

أمّا أوّلاً: ففيه اعتراف بأنّ قول عائشة: «إنّ أبا بكر رجل أسيف فمر عمر أن يصلّي بالناس» مخالفة للنبي وردّ عليه منها، بحيث لم يتحمّله النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم وقال هذا الكلام.

وأمّا ثانياً: فلأنّه لا يتناسب مع بلاغة النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم وحكمته، إذ لم يكن صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم يشبّه الشيء بخلافه ويمثّله بضدّه، وإنّما كان يضع المثل في موضعه ولا ريب أنّ صويحبات يوسف إنّما عصين الله بأن أرادت كلّ واحدة منهنّ من يوسف ما أرادته الأُخرى وفُتنت به كما فُتنت به صاحبتها، فلو كانت عائشة قد دفعت النبي عن أبيها ولم ترد شرف ذلك المقام الجليل له،

(١) فتح الباري ٢/١٩٥.

ولم تفتتن بمحبّة الرئاسة وعلوّ المقام، لكان النبي في تشبيهها بصويحبات يوسف قد وضع المثل في غير موضعه، وهو أجلُّ من ذلك، فإنّه نقص وحينئذٍ يثبت أنّ ما قاله النبي إنّما كان لمخالفة المرأة وتقديمها بالأمر ـ بغير إذن منه صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ـ لأبيها، لأنّها مفتونة بمحبّة الاستطاعة والرغبة في تحصيل الفضيلة واختصاصها وأهلها بالمناقب كما قدّمناه في بيان طرف من أحوالها.

وأمّا ثالثاً: فقد جاء في بعض الأخبار أنّه لمّا قالت عائشة: «إنّه رجل رقيق فمر عمر» لم يجبها بتلك الكلمة بل قال: «مروا عمر»[1] ومنه يظهر أنّ السبب في قوله ذلك لم يكن قولها: «إنّه رجل أسيف».

وقال النووي بشرح الكلمة:

«أي في التظاهر على ما تردن وكثرة إلحاحكنّ في طلب ما تردنه وتملن إليه، وفي مراجعة عائشة جواز مراجعة وليّ الأمر علىٰ سبيل العرض والمشاورة والإشارة بما يظهر أنّه مصلحة وتكون تلك المراجعة بعبارة لطيفة، ومثل هذه المراجعة مراجعة عمر رضي الله عنه في قوله: لا تبشّرهم فيتّكلوا، وأشباهه كثيرة مشهورة»[2].

(١) تاريخ الطبري ٤٣٩/٢.

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم ١١٨/٤.

قلت: وهذا أسخف من سابقه، وجوابه يظهر ممّا ذكرنا حوله، ومن الغريب استشهاده لعمل عائشة بعمل عمر ومعارضته لرسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم في مواقف كثيرة !!

وممّا يؤكّد ما ذكرناه من عدم تماميّة ما تكلّفوا به في بيان وجه المناسبة، أنّ بعضهم ـ كابن العربي المالكي ـ التجأ إلى تحريف الحديث حتّى تتمّ المناسبة، فإنّه علىٰ أساس تحريفه تتمّ بكلّ وضوح، لكنّ الكلام في التحريف الذي ارتكبه وسنذكر نصّ عبارته فانتظر.

٦ ـ تقديم أبي بكر عمر

ثمّ إنّه قد جاء في بعض الأحاديث تقديم أبي بكر لعمر ـ بل ذكر ابن حجر أنّ إلحاح عائشة كان بطلبٍ من أبيها أبي بكر[1] ـ وقد وقع القول من أبي بكر ـ قوله لعمر: صلّ بالناس ـ موقع الإشكال كذلك، لأنّه لو كان الآمر بصلاة أبي بكر هو النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم فكيف يقول أبو بكر لعمر: صلّ بالناس ؟! فذكروا فيه وجوهاً:

أحدها ما تأوّله بعضهم علىٰ أنّه قاله تواضعاً.

(١) فتح الباري ١٩٥/٢.

والثّاني ما اختاره النووي ـ بعد الردّ علىٰ الأوّل ـ وهو أنّه قاله للعذر المذكور، أي كونه رقيق القلب كثير البكاء، فخشي أن لا يُسمع الناس!

والثالث ما احتمله ابن حجر، وهو: أن يكون فهم من الإمامة الصغرى الإمامة العظمى، وعلم ما في تحمّلها من الخطر، وعلم قوّة عمر علىٰ ذلك فاختاره[١].

وهذه الوجوه ذكرها الكرماني قائلاً: «فإن قلت: كيف جاز للصدّيق مخالفة أمر الرسول صلّىٰ الله عليه وسلّم ونصب الغير للإمامة؟! قلت: كأنّه فهم أنّ الأمر ليس للإيجاب، أو أنّه قاله للعذر المذكور، وهو أنّه رجل رقيق كثير البكاء لا يملك عينه. وقد تأوّله بعضهم بأنّه قال تواضعاً»[٢].

قلت: أمّا الوجه الأوّل فتأويل ـ وهكذا أوّلوا قوله استخلفه الناس وبايعوه: «ولّيت أمركم ولست بخيركم»[٣] ـ لكنّه ـ كما ترىٰ ـ تأويل لا يلتزم به ذو مسكة، ولذا قال النووي: «وليس كذلك».

---

(١) فتح الباري ١٩٥/٢.

(٢) الكواكب الدراري ٧٠/٥.

(٣) طبقات ابن سعد ١٣٦/٣.

وأمّا الوجه الثاني، فقد عرفت ما فيه من كلام النبي.

وأمّا الوجه الثالث، فأظرف الوجوه، فإنّه احتمال أن يكون فهم أبوبكر !! الإمامة العظمى !! وعلم ما في تحمّلها من الخطر ؟! علم قوة عمر على ذلك فاختاره !! ولم يعلم النبي بقوّة عمر على ذلك فلم يختره !! وإذا كان علم من عمر ذلك فعمر أفضل منه وأحقّ بالإمامة العظمى !!

لكنّ الوجه الوجيه أنّه كان يعلم بأنّ الأمر لم يكن من النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم، وعمر كان يعلم أيضاً بذلك، ولذا قال له في الجواب: «أنت أحقّ بذلك»، وقوله لعمر: «صلّ بالناس» يشبه قوله للناس في السقيفة: «بايعوا أيّ الرجلين شئتم» يعني: عمر وأبا عبيدة.

٧ ـ خروجه معتمداً علىٰ رجلين

إنّه وإن لم يتعرّض في بعض ألفاظ الحديث لخروج النبي صلّى الله عليه وآله إلى الصلاة أصلاً، وفي بعضها إشارة إليه ولكن بلا ذكرٍ لكيفيّة الخروج إلاّ أنّ في اللفظ المفصّل ـ وهو خبر عبيدالله عن عائشة، حيث طلب منها أن تحدّثه عن مرض رسول الله صلّىٰ الله

عليه وآله وسلّم ـ جاء: «ثمّ إنّ النبيّ صلّىٰ الله عليه وسلّم وجد من نفسه خفّةً، فخرج بين رجلين أحدهما العبّاس».

وفي حديث آخر عنها: «وخرج النبي يهادي بين رجلين، كأنّي أنظر إليه يخطّ برجليه الأرض».

وفي ثالث: «فلمّا دخل في الصلاة وجد رسول الله في نفسه خفّةً، فقام يهادي بين رجلين، ورجلاه تخطّان في الأرض حتّى دخل المسجد».

وفي رابع: «فوجد رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم من نفسه خفّةً، فخرج وإذا أبو بكر يؤمّ الناس».

وفي خامس: «فخرج أبوبكر فصلّى بالناس، فوجد رسول الله من نفسه خفّةً، فخرج يهادى بين رجلين ورجلاه تخطّان في الأرض».

أقول: هنا نقاط نلفت إليها الأنظار علىٰ ضوء هذه الأخبار:

١ ـ متى خرج أبوبكر إلى الصلاة؟

إنّه خرج إليها والنبي في حال غشوةٍ، لأنّه لمّا وجد في نفسه خفّةً خرج معتمداً علىٰ رجلين.

٢ ـ متى خرج رسول الله ؟

إنّه خرج عند دخول أبي بكر في الصلاة ، فهل كانت الخفّة التي وجدها في نفسه في تلك اللحظات صدفةً ، بأن رأى نفسه متمكّناً من الخروج فخرج على عادته ، أو أنّه خرج عندما علم بصلاة أبي بكر إمّا بإخبار مخبر ، أو بسماع صوت أبي بكر ؟ إنّه لا فرق بين الوجهين من حيث النتيجة ، فإنّه لو كان قد أمر أبابكر بالصلاة في مقامه لما بادر إلى الخروج وهو علىٰ الحال التي وصفتها الأخبار !

٣ ـ كيف خرج رسول الله ؟

لم يكن النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم بقادر علىٰ المشي بنفسه ، ولا كان يكفيه الرجل الواحد بل خرج معتمداً علىٰ رجلين ، بل إنّهما أيضاً لم يكفياه ، فرجلاه كانتا تخطّان في الأرض ، وإنّ خروجاً ـ كهذا ـ ليس إلاّ لأمرٍ يهمّ الإسلام والمسلمين ، وإلاّ فقد كان معذوراً عن الخروج للصلاة جماعةً ، كما هو واضح . فإن كان خروج أبي بكر إلى الصلاة بأمرٍ منه فقد جاء ليعزله ، كما كان في قضيّة إبلاغ سورة التوبة حيث أمر أبابكر بذلك ثمّ أمر بعزله وذاك من القضايا الثابتة المتّفق عليها ، لكنّه لم يكن بأمرٍ منه للوجوه التي ذكرناها .

٤ ـ علىٰ من كان معتمداً ؟

واختلفت الألفاظ التي ذكرناها فيمن كان معتمداً عليه مع الاتّفاق علىٰ كونهما اثنين فمنها: «رجلين أحدهما العبّاس» ومنها: «رجلين» ومنها: «فقال: انظروا لي من أتّكىء عليه، فجاءت بريرة، ورجل آخر فاتّكأ عليهما». وهناك روايات فيها أسماء أشخاصٍ آخرين.

ومن هنا اضطربت كلمات الشرّاح فقال النووي بشرح «فخرج بين رجلين أحدهما العبّاس»:

«وفسّر ابن عبّاس الآخر بعليّ بن أبي طالب. وفي الطريق الآخر: فخرج ويد له علىٰ الفضل بن عباس ويد له على رجلٍ آخر، وجاء في غير مسلم: بين رجلين أحدهما أُسامة بن زيد. وطريق الجمع بين هذا كلّه: أنّهم كانوا يتناوبون الأخذ بيده الكريمة صلّىٰ الله عليه وسلّم تارةً هذا وتارةً ذاك وذاك، ويتنافسون في ذلك، وهؤلاء هم خواص أهل بيته الرجال الكبار، وكان العباس رضي الله عنه أكثرهم ملازمة للأخذ بيده الكريمة المباركة صلّىٰ الله عليه وسلّم، أو أنّه أدام الأخذ وإنّما يتناوب الباقون في اليد الاخرىٰ، وأكرموا العبّاس باختصاصه بيد واستمرارها له، لما له من السنّ والعمومة وغيرهما،

ولهذا ذكرته عائشة رضي الله عنها مسمّىً وأبهمت الرجل الآخر، إذ لم يكَن أحد الثلاثة الباقين ملازماً في جميع الطريق ولا معظمه، بخلاف العبّاس، والله أعلم »[١].

وفي خبر آخر عند ابن خزيمة عن سالم بن عبيد: « فجاءوا ببريرة ورجل آخر، فاعتمد عليهما ثم خرج إلى الصلاة »[٢].

ترى أنّ «الرجل الآخر» في جميع هذه الطرق غير مذكور، فاضطرّ النووي إلى ذكر توجيه لذلك، بعد أن ذكر طريق الجمع بين مختلف الأخبار، لئلاّ يسقط شيء منها عن الاعتبار!! بعد أن كانت القضيّة واحدة.

وروى أبو حاتم أنّه صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم خرج بين جاريتين، فجمع بين الخبرين بأنّه « خرج بين الجاريتين إلى الباب، ومن الباب أخذه العبّاس وعليّ رضي الله تعالىٰ عنهما، حتّى دخلا به المسجد »[٣].

لكنّ خبر خروجه بين جاريتين وهم صدر من الذهبي أيضاً[٤].

---

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم ١١٧/٤.

(٢) عمدة القاري ١٨٨/٥.

(٣) عمدة القاري ١٨٨/٥.

(٤) عمدة القاري ١٩٠/٥.

وذكر العيني الجمع الذي اختاره النووي قائلاً: «وزعم بعض الناس» ثمّ أشكل عليه بقوله «فإن قلت: ليس بين المسجد وبيته صلّىٰ الله عليه [وآله] وسلّم مسافة تقتضي التناوب» فأجاب بقوله «قلت: يحتمل أن يكون ذلك لزيادةٍ في إكرامه صلّىٰ الله عليه وسلّم أو لالتماس البركة من يده»[1].

وأنت تستشمّ من عبارته «وزعم بعض الناس» ثمّ من الإشكال والجواب عدم ارتضائه لما قاله النووي، وكذلك ابن حجر، فقد ردّ ـ كما ستعلم ـ علىٰ ما ذكره النووي فيما جاء في رواية معمر: «ولكنّ عائشة لا تطيب نفساً له بخير» ورواية الزهري: «ولكنّها لا تقدر علىٰ أن تذكره بخير».

والتحقيق: إنّ القضيّة واحدة، و«الرجل الآخر» هو عليٌّ عليه السلام «ولكن عائشة ...» أمّا ما ذكره النووي فقد عرفت ما فيه، وقد أورد العيني ما في رواية معمر والزهري ثمّ قال «وقال بعضهم: وفي هذا ردّ علىٰ من زعم أنّها أبهمت الثاني لكونه لم يتعيّن في جميع المسافة ولا معظمها» قال العيني «قلت: أشار بهذا إلى الردّ علىٰ

(١) عمدة القاري ١٨٨/٥.

النووي ولكنّه ما صرّح باسمه لاعتنائه به ومحاماته له »[١].

قلت: والعيني أيضاً لم يذكر اسم القائل وهو ابن حجر، ولا نصّ عبارته لشدّتها، ولنذكرها كاملةً، فإنّه كما لم يصرّح باسم النووي كذلك لم يصرّح باسم الكِرماني الذي اكتفى هنا بأن قال: «لم يكن تحقيراً أو عداوةً، حاشاها من ذلك »[٢] وهي هذه بعد روايتي معمر والزهري: «وفي هذا ردّ على من تنطّع فقال: لا يجوز أن يظنّ ذلك بعائشة، وردّ على من زعم أنّها أبهمت الثاني لكونه لم يتعينّ في جميع المسافة وفي جميع ذلك الرجل الآخر هو العبّاس، واختصّ بذلك إكراماً له. وهذا توهّم ممّن قاله، والواقع خلافه، لأنّ ابن عبّاس في جميع الروايات الصحيحة جازم بأنّ المبهم عليّ فهو المعتمد. والله أعلم »[٣].

إلاّ أنّ من القوم من حملته العصبيّة لعائشة على أن ينكر ما جاء في رواية معمر والزهري، وقد أجاب عن ذلك ابن حجر حاملاً الإنكار على الصحّة فقال: «ولم يقف الكرماني على هذه الزيادة فعبّر عنها

(١) عمدة القاري ١٩٢/٥.

(٢) الكواب الدراري ٥٢/٥.

(٣ و ٢) فتح الباري ١٩٨/٢.

بعبارة شنيعة »[١].

٨ ـ حديث صلاته خلف أبي بكر

وحديث أنّه صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم أئتمّ في تلك الصلاة بأبي بكر ـ بالإضافة إلى أنّه في نفسه كذب كما سيأتي ـ دليل آخر علىٰ علىٰ أنّ أصل القضية ـ أعني أمره أبابكر بالصلاة ـ كذب وبيان ذلك في الوجوه الآتية.

٩ ـ وجوب تقديم الأقرأ

هذا، وينافي حديث الأمر بالصلاة منه صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ما ثبت عنه من وجوب تقديم الأقرأ في الإمامة إذا استووا في القراءة، وفي الصحاح أحاديث متعدّدة دالة علىٰ ذلك، وقد عقد البخاري باب «إذا استووا في القراءة فليؤمّهم أكبرهم »[٢].

وذلك، لأنّ أبابكر لم يكن الأقرأ بالإجماع وهذا أيضاً من المواضع المشكلة التي اضطربت فيها كلماتهم.

قال العيني: «واختلف العلماء فيمن هو أولى بالإمامة فقالت

---

(٢) صحيح البخاري ١/٢٤٢.

طائفة: الأفقه وبه قال أبو حنيفة ومالك والجمهور، وقال أبو يوسف وأحمد وإسحاق: الأقرأ» فأجاب عن الإشكال بعدم التعارض «لأنّه لا يكاد يوجد إذ ذاك قارىء إلاّ وهو فقيه» قال: «وأجاب بعضهم بأنّ تقديم الأقرأ كان في أوّل الإسلام»[1].

وقال ابن حجر بشرح عنوان البخاري المذكور: «هذه الترجمة منتزعة من حديث أخرجه مسلم من رواية أبي مسعود الأنصاري مرفوعاً وقد نقل ابن أبي حاتم في العلل عن أبيه أنّ شعبة كان يتوقّف في صحّة هذا الحديث. ولكن هو في الجملة يصلح للاحتجاج به عند البخاري ... قيل: المراد به الأفقه. وقيل: هو على ظاهره.

وبحسب ذلك اختلف الفقهاء، قال النووي قال أصحابنا: الأفقه مقدّم على الأقرأ، ولهذا قدّم النبي صلّى الله عليه وسلّم أبابكر في الصلاة على الباقين، مع أنّه صلّى الله عليه وسلّم نصّ على أنّ غيره أقرأ منه ـ كأنّه عنى حديث: أقرؤكم أُبيّ ـ قال: وأجابوا عن الحديث بأنّ الأقرأ من الصحابة كان هو الأفقه».

قال ابن حجر «قلت: وهذا الجواب يلزم منه أنّ من نصّ النبي صلّى الله عليه وسلّم على *أنّه أقرأ من أبي بكر كان أفقه من أبي بكر*،

(١) عمدة القاري ٥/٢٠٣.

فيفسد الاحتجاج بأنّ تقديم أبي بكر كان لأنّه الأفقه».

قال: «ثمّ قال النووي بعد ذلك: إنّ قوله في حديث أبي مسعود: فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسُنّه، فإن كانوا في السنّة سواء فأقدمهم في الهجرة. يدلّ علىٰ تقديم الأقرأ مطلقاً. إنتهى».

قال ابن حجر: «وهو واضح للمغايرة»[1].

أقول: فانظر إلى اضطراباتهم وتمحّلاتهم في الباب، وما ذلك كلّه إلاّ دليلاً على عجزهم عن حلّ الإشكال، وإلاّ فأيّ وجهٍ لحمل حديث تقديم الأقرأ على «صدر الإسلام» فقط؟ أو حمله علىٰ أنّ المراد هو «الأفقه»؟! وهل كان أبو بكر الأفقه حقّاً؟!

وأمّا الوجه الآخر الذي نسبه النووي إلى أصحابه، فقد ردّ عليه ابن حجر وتراهم بالتالي يعترفون بوجوب تقديم الأقرأ أو يسكتون!!

إنّ المتّفق عليه في كتابي البخاري ومسلم أنّ النبي صلّىٰ الله عليه وسلّم كان هو الإمام في تلك الصلاة. وكذا جاء في حديث غيرهما... فهذه طائفة من الأخبار صريحة في ذلك...

وطائفة أُخرى فيها بعض الإجمال... كالحديث عند النسائي: «وكان النبي بين يدي أبي بكر، فصلّى قاعداً، وأبو بكر يصلّي

(١) فتح الباري ٢/٢١٧ـ٢١٨.

بالناس، والناس خلف أبي بكر». والآخر عند ابن ماجة: «ثمّ جاء رسول الله حتّى جلس إلى جنب أبي بكر حتّى قضى أبو بكر صلاته».

وطائفة ثالثة ظاهرة أو صريحة في صلاته خلف أبي بكر: كالحديث عند النسائي وأحمد: «إنّ أبابكر صلّى للناس ورسول الله في الصفّ» والحديث عند أحمد: «صلّى رسول الله خلف أبي بكر قاعداً» وعنده أيضاً: «وصلّى النبي خلفه قاعداً».

ومن هنا، كان هذا الموضع من المواضع المشكلة عند الشرّاح، حيث اضطربت كلماتهم واختلفت أقوالهم فيه؛ قال ابن حجر: «وهو اختلاف شديد»[١].

فابن الجوزي وجماعة أسقطوا ما أفاد صلاة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم خلف أبي بكر عن الإعتبار، بالنظر إلى ضعف سنده، وإعراض البخاري ومسلم عن إخراجه[٢]. قال ابن عبدالبرّ: «الآثار الصحاح علىٰ أنّ النبي صلّىٰ الله عليه وسلّم هو الإمام»[٣] وقال النووي: «وإن كان بعض العلماء زعم أنّ أبابكر كان هو الإمام والنبي

---

(١) فتح الباري ١٩٧/٢.

(٢) لابن الجوزي رسالة في هذا الباب أسماها «آفة أصحاب الحديث في الردّ على عبد المغيث» نشرناها لأول مرّة بمقدّمة وتعاليق هامّة سنة ١٣٩٨.

(٣) عمدة القاري ١٩١/٥.

مقتدٍ به، لكنّ الصواب أنّ النبي صلّىٰ الله عليه وسلّم كان هو الإمام. وقد ذكره مسلم»[١].

لكن فيه: أنّه إن كان دليل الردّ ضعف السند، فقد عرفت أنّ جميع ما دلّ على أمره أبابكر بالصلاة ضعيف، وإن كان دليل الردّ إعراض الشيخين، فقد ثبت لدى المحقّقين أنّ إعراضهما عن حديث لا يوهنه، كما أنّ إخراجهما لحديث لا يوجب قبوله. نعم، خصوم ابن الجوزي وجماعته ملتزمون بذلك.

وعبد المغيث بن زهير الحنبلي البغدادي وجماعة قالوا: كان أبوبكر هو الإمام، أخذاً بالأحاديث الصريحة في ذلك، قال الضياء المقدسي وابن ناصر: «صحّ وثبت أنّه صلّىٰ الله عليه وسلّم صلّى خلفه مقتدياً به في مرضه الذي توفّي فيه، ثلاث مرّات، ولا ينكر ذلك إلاّ جاهل لا علم له بالرواية»[٢].

لكن فيه: أنّها أحاديث ضعيفة جدّاً، ومن عمدتها ما رواه شبابة ابن سوار المدلّس المجروح عند المحقّقين على أنّ قولهما: «ثلاث

---

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم ١١٣/٤.

(٢) عمدة القاري ١٩١/٥، لعبد المغيث رسالة في هذا الباب، ردّ عليها ابن الجوزي برسالته المذكورة.

مرّات» معارض بقول بعضهم «كان مرّتين» وبه جزم ابن حبّان[1] وأمّا رمي المنكرين بالجهل فتعصّب.

والعيني وجماعة على الجمع بتعدّد الواقعة، قال العيني: «وروي حديث عائشة بطرقٍ كثيرة في الصحيحين وغيرهما، وفيه اضطراب غير قادح.

وقال البيهقي: لا تعارض في أحاديثها، فإنّ الصلاة التي كان فيها النبي صلّىٰ الله عليه وسلّم إماماً هي صلاة الظهر يوم السبت أو يوم الأحد، والتي كان فيها مأموماً هي صلاة الصبح من يوم الاثنين وهي آخر صلاةٍ صلاّها صلّىٰ الله عليه وسلّم حتّى خرج من الدنيا.

وقال نعيم بن أبي هند: الأخبار التي وردت في هذه القصة كلها صحيحة وليس فيها تعارض، فإنّ النبي صلّىٰ الله عليه وسلّم صلّى في مرضه الذي مات فيه صلاتين في المسجد، في إحداهما كان إماماً وفي الأُخرىٰ كان مأموماً»[2].

قلت:

أوّلاً: إنّ كلام البيهقي في الجمع أيضاً مضطرب، فهو لا يدري

(١) عمدة القاري ١٩١/٥.

(٢) عمدة القاري ١٩١/٥.

الصلاة التي كان فيها إماماً أهي صلاة الظهر يوم السبت أو يوم الأحد!؟ وكأنّ المهمّ عنده أن يجعل الصلاة الأخيرة ـ يوم الاثنين ـ صلاته مأموماً، كي تثبت الإمامة العظمى لأبي بكر بالإمامة الصغرى!!

وثانياً: إنّ نعيم بن أبي هند ـ الذي حكم بصحّة كلّ الأخبار، وجمع كالبيهقي بالتعدّد لكن من غير تعيين، لجهله بواقع الأمر! ـ رجل مقدوح مجروح لا يعتمد على كلامه، كما تقدّم في محلّه.

وثالثاً: إنّه اعترف بوجود الاضطراب في حديث عائشة، وكذا اعترف بذلك ابن حجر، ثمّ ذكر الاختلاف، وظاهره ترك المطلب علىٰ حاله من دون اختيار، ثمّ أضاف أنّه «اختلف النقل عن الصحابة غير عائشة، فحديث ابن عبّاس فيه: أنّ أبابكر كان مأموماً وحديث أنس فيه: أنّ أبابكر كان إماماً. أخرجه الترمذي وغيره»[1].

والتحقيق:

إنّ القصّة واحدة لا متعدّدة، فالنبيّ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم خرج في تلك الواقعة إلى المسجد ونحّى أبابكر عن المحراب، وصلّى بالناس بنفسه وكان هو الإمام وصار أبوبكر مأموماً وأمّا قبلها فكان هو ـ صلّى الله عليه وآله ـ المصلّي بالمسلمين الموجودين في

---

(١) فتح الباري ٢/١٩٧ـ١٩٨.

المدينة، أو كان يصلّي بهم أحدهم.

هذا هو التحقيق بالنظر إلى الوجوه المذكورة، وفي متون الأخبار، وفي تناقضات القوم، وفي ملابسات القصّة. ثمّ وجدنا إمام الشافعيّة يصرّح بهذا الذي انتهينا إليه قال ابن حجر: «وقد صرّح الشافعي بأنّه صلّىٰ الله عليه وسلّم لم يصلّ بالناس في مرض موته في المسجد إلاّ مرّة واحدة، وهي هذه التي صلّى فيها قاعداً، وكان أبوبكر فيها أوّلاً إماماً ثمّ صار مأموماً يُسمع الناس التكبير»[1].

اذن، ما صلّى أبو بكر في مكان النبي إلّا صلاةً واحدةً وهي الصّلاة الأخيرة، وقد صار فيها مأموماً!

ثمّ إنّ هذا الذي صرّح به الشافعي من أنّ أبابكر «صار مأموماً يُسمع الناس التكبير» ممّا شقّ علىٰ كثيرٍ من القوم التصريح به، فجعلوا يتّبعون أهواءهم في رواية الخبر وحكاية الحال، فانظر إلى الفرق بين عبارة الشافعي وما جاء مشابهاً لها في بعض الأخبار، وعبارة من قال:

«فكان أبوبكر يصلّي بصلاة رسول الله وهو جالس، وكان الناس يصلّون بصلاة أبي بكر».

ومن قال:

---

(١) فتح الباري ٢/٢٢٢ـ٢٢٣.

« فكان أبوبكر يصلّي قائماً ، وكان رسول الله يصلّي قاعداً ، يقتدي أبوبكر بصلاة رسول الله ، والناس مقتدون بصلاة أبي بكر » .

ومن قال :

« فصلّى قاعداً وأبو بكر يصلّي بالناس ، والناس خلف أبي بكر » .

ومن قال :

« فكان أبو بكر يأتمّ بالنبي والناس يأتمون بأبي بكر » .

ومن قال :

« جاء رسول الله حتى جلس إلى جنب أبي بكر حتّى قضى أبوبكر صلاته » .

إنّهم يقولون هكذا كي يوهموا ثبوت نوع إمامة لأبي بكر !! وتكون حينئذٍ كلماتهم مضطربة مشوّشة بطبيعة الحال !! وبالفعل ، فقد وقع التوهّم ...

واختلف الشرّاح في القضيّة وتوهّم بعضهم فروعاً فقهيّة ، كقولهم بصحّة الصلاة بإمامين !! : فقد عقد البخاري : « باب الرجل يأتمّ بالإمام ويأتمّ الناس بالمأموم » وذكر الحديث عن عائشة الذي فيه : « وكان رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم يصلّي قاعداً ، يقتدي أبو بكر

بصلاة رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم، والناس مقتدون بصلاة أبي بكر»[١].

وقال العيني بعد الحديث «قيل للأعمش: وكان النبي صلّىٰ الله عليه وسلّم يصلّي وأبو بكر يصلّي بصلاته والناس يصلّون بصلاة أبي بكر؟ فقال برأسه: نعم!».

قال: «استدلّ به الشعبي على جواز ائتمام بعض المأمومين ببعضٍ، وهو مختار الطبري أيضاً، وأشار إليه البخاري ـ كما يأتي إن شاء الله تعالىٰ ـ.

وردّ بأنّ أبابكر رضي الله عنه كان مبلّغاً، وعلى هذا، فمعنى الاقتداء اقتداؤه بصوته، والدليل عليه أنّه صلّىٰ الله عليه وسلّم كان جالساً وأبوبكر كان قائماً، فكانت بعض أفعاله تخفى علىٰ بعض المأمومين، فلأجل ذلك كان أبوبكر كالإمام في حقهم»[٢].

أقول: ولذا شرح السيوطي الحديث في الموطّأ بقوله:

«أي يتعرّفون به ماكان النبيّ صلّىٰ الله عليه وسلّم يفعله لضعف

(١) صحيح البخاري ٢٥٢/١ كتاب الجماعة والإمامة باب الرجل يأتم بالإمام ويأتم الناس بالمأموم الرقم ٦٨١.

(٢) عمدة القارى ١٩٠/٥.

صوته عن أن يُسمع الناس تكبير الانتقال، فكان أبو بكر يُسمعهم ذلك»[١].

ويشهد بذلك الحديث المتقدّم عن جابر: «اشتكى رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم فصلّينا وراءه وهو قاعد، وأبو بكر يُسمع الناس تكبيره».

بل لقد عقد البخاري نفسه: «باب من أسمع الناس تكبير الإمام» وأخرج الحديث تحته[٢]!!

١٠ ـ لا يجوز لأحد التقدّم علىٰ النبيّ

هذا كلّه، بغضّ النظر عن أنّه لا يجوز لأحد أن يتقدّم علىٰ النبي صلّىٰ الله عليه وسلّم، وأمّا بالنظر إلى هذه القاعدة ـ المسلّمة كتاباً وسُنّةً ـ فجميع أحاديث المسألة باطلة. ولقد نصَّ علىٰ تلك القاعدة كبار الفقهاء، منهم: إمام المالكية وأتباعه، وعن القاضي عياض إنّه قول مشهور عن مالك وجماعة أصحابه، قال: وهذا أولى الأقاويل[٣]

(١) تنوير الحوالك علىٰ موطأ مالك ١٥٦/١.

(٢) صحيح البخاري ٢٥١/١ كتاب الجماعة والإمامة باب من أسمع الناس تكبير الإمام الرقم ٦٨٠.

(٣) نيل الأوطار ١٨٢/٣.

وقال الحلبي بعد حديث تراجع أبي بكر عن مقامه: «وهذا استدلّ به القاضي عياض رحمه الله علىٰ أنّه لا يجوز لأحد أن يؤمّه صلّىٰ الله عليه وسلّم، لأنّه لا يصلح للتقدم بين يديه صلّىٰ الله عليه وسلّم، في الصلاة ولا في غيرها، لا لعذرٍ ولا لغيره، ولقد نهى الله المؤمنين عن ذلك، ولا يكون أحد شافعاً له صلّىٰ الله عليه وسلّم، وقد قال: صلّىٰ الله عليه وسلّم: أئمّتكم شفعاؤكم. وحينئذٍ يحتاج للجواب عن صلاته صلّىٰ الله عليه وسلّم خلف عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه ركعةً، وسيأتي الجواب عن ذلك»[1].

قلت: يشير بقوله: «وقد نهى الله المؤمنين عن ذلك» إلى قوله عزّوجلّ: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾**[2] وقد تبع في ذلك إمامه مالك بن أنس كما في فتح الباري[3] لكن من الغريب جدّاً قول ابن العربي المالكي: «المسألة الخامسة قوله تعالى: **﴿لاَ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾** أصلٌ في ترك التعرّض لأقوال النبي صلّىٰ الله عليه وسلّم، وإيجاب أتّباعه والاقتداء به، ولذلك قال النبي

(١) السيرة الحلبية ٣/٣٨٨.

(٢) سورة الحجرات ٤٩:١.

(٣) فتح الباري ٢/٢٢٣.

صلّىٰ الله عليه وسلّم في مرضه: مروا أبابكر فليصلّ بالناس. فقالت عائشة لحفصة قولي له: إنّ أبابكر رجلٌ أسيف، وإنّه متى يقم مقامك لا يسمع الناس من البكاء، فمر عليّاً[١] فليصلّ بالناس، فقال النبي صلّىٰ الله عليه وسلّم: إنّكنّ لأنتنّ صواحب يوسف، مروا أبابكر فليصلّ بالناس.

يعني بقوله: صواحب يوسف الفتنة بالردّ عن الجائز إلى غير الجائز »[٢].

أقول: إنّ الرجل يعلم جيّداً بأنّ النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم لم يتمثّل بقوله: «إنّكنّ صواحب يوسف» إلاّ لوجود فتنةٍ من المرأتين، فحرّف الحديث من «فمر عمر» إلى «فمر عليّاً» ليتمّ تشبيه

(١) فكان الحديث بثلاثة ألفاظ ١ ـ «فمر غيره» ٢ ـ «فمر عمر» ٣ ـ «فمر عليّاً» وهذا من جملة التعارضات الكثيرة الموجودة بين ألفاظ هذه القضيّة الواحدة!! لكنّا نغضّ النظر عن التعرّض له خوفاً من الإطالة إلاّ أنّه لا مناص من ذكر الأمر الأغرب من هذا الرجل! وهو التناقض والتعارض الموجود بين هذا الذي نقلناه عن كتابه (أحكام القرآن) وبين الموجود في كتابه الآخر (العواصم من القواصم: ١٩٢) حيث يقول في سياق ردّه وطعنه علىٰ الإماميّة!!: «ولا تستغربوا هذا من قولهم، فهم يقولون إن النبي كان مدارياً لهم معيناً لهم علىٰ نفاقٍ وتقية، وأين أنت من قول النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم حين سمع قول عائشة: مروا عمر فليصل بالناس ـ: إنكن لأنتنّ صواحب يوسف، مروا أبابكر فليصلّ بالناس».

(٢) أحكام القرآن ٤/١٤٥.

النبي المرأتين بصويحبات يوسف، لأنّ المرأتين أرادتا الردّ عن الجائز «وهو صلاة أبي بكر!» إلى غير الجائز «وهو صلاة عليّ!».

إذن، جميع أحاديث المسألة باطلة.

أمّا التي دلّت علىٰ صلاة النبي خلف أبي بكر، فواضح جداً.

وأمّا الّتي دلّت علىٰ أنّه كان النبي صلّىٰ الله عليه وسلّم هو الإمام، فلاشتمالها علىٰ استمرار أبي بكر في الصلاة، وقد صحّ عنه أنّه في صلاته بالمسلمين عندما ذهب رسول الله إلى بني بن عوف ليصلح بينهم لمّا حضر رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم وهو في الصلاة «استأخر» ثمّ قال: «ما كان لابن أبي قحافة أن يصلّي بين يدي رسول الله».

وهذا نصّ الحديث عن سهل بن سعد الساعدي.

«إنّ رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم ذهب إلى بني عمرو ابن عوف ليصلح بينهم فحانت الصلاة، فجاء المؤذّن إلى أبي بكر فقال: أتصلّي للناس فأُقيم؟ قال: نعم. فصلّى أبوبكر. فجاء رسول الله والناس في الصلاة، فتخلّص حتّى وقف في الصفّ، فصفّق الناس، وكان أبوبكر لا يلتفت في صلاته.

فلمّا أكثر الناس التصفيق التفت فرأى رسول الله صلّىٰ الله عليه

وسلّم، فأشار إليه رسول الله أن امكث مكانك. فرفع أبوبكر يديه فحمد الله علىٰ ما أمره به رسول الله من ذلك، ثمّ استأخر أبوبكر حتى استوى في الصفّ، وتقدّم رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم فصلّى.

فلمّا انصرف قال: يا أبا بكر ما منعك أن تثبت إذ أمرتك؟ فقال أبو بكر: ماكان لابن أبي قحافة أن يصلّي بين يدي رسول الله».

وقد التفت ابن حجر إلى هذا التعارض فقال بشرح الحديث:

«فصلّى أبوبكر، أي: دخل في الصلاة، ولفظ عبد العزيز المذكور: وتقدّم أبوبكر فكبّر. وفي رواية المسعودي عن أبي حازم: فاستفتح أبو بكر الصّلاة وهي عند الطبراني.

وبهذا يُجاب عن الفرق بين المقامين، حيث امتنع أبوبكر هنا أن يستمرّ إماماً وحيث استمرّ في مرض موته صلّىٰ الله عليه وسلّم حين صلّى خلفه الركعة الثانية من الصبح كما صرّح به موسى بن عقبة في المغازى، فكأنّه لمّا أن مضى معظم الصلاة حسن الاستمرار، ولمّا أن لم يمض منها إلاّ اليسير لم يستمرّ»[1].

وهذا عجيب من ابن حجر!!

فقد جاء في الأحاديث المتقدّمة: «فصلّى» كما في هذا

---

(١) فتح الباري ٢/٢١٤.

الحديث الذي فسّره بـ« أي: دخل في الصلاة »، فانظر منها الحديث الأوّل والحديث السابع من الأحاديث المنقولة عن صحيح البخاري.

بل جاء في بعضها: « فلمّا دخل في الصلاة وجد رسول الله في نفسه خفّة » فانظر الحديث الثامن من أحاديث البخاري.

لكنّ بعض الكذّابين روى في هذا الحديث أيضاً: « فصلّى رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم خلف أبي بكر رضي الله عنه » قال الهيثمي: « رواه الطبراني وفي إسناد الطيراني عبدالله بن جعفر ابن نجيح وهو ضعيف جدّاً »[1].

فظهر أن لا فرق ولا يجوز لأبي بكر ولا لغيره من أفراد الأُمّة التقدّم علىٰ رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم لا في الصلاة ولا في غيرها.

١١ ـ خطبة النبي بعد الصلاة

ثمّ إنّه صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم قام معتمداً علىٰ علي والفضل حتى جلس علىٰ المنبر وعليه عصابة، فحمد الله وأثنى عليه وأوصاهم بالكتاب وعترته أهل بيته، ونهاهم عن التنافس والتباغض،

(١) مجمع الزوائد ٥/٣٣٠ كتاب الخلافة باب الخلفاء الأربعة الرقم ٨٩٣٣.

وودّعهم[١].

١٢ ـ رأي أميرالمؤمنين في القضيّة

وبعد أن لاحظنا متون الأخبار ومداليلها، ووجدنا التعارض والتكاذب فيما بينها، بحيث لا طريق صحيح للجمع بينها بعد كون القضيّة واحدة واستخلصنا أنّ صلاة أبي بكر في مرض النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم لم تكن بأمرٍ منه قطعاً فلنرجع إلى مولانا أميرالمؤمنين عليه السّلام، لنرى رأيهُ في أصل القضيّة فيكون شاهداً علىٰ ما استنتجناه، ولنرى أيضاً أنّ صلاة أبي بكر بأمر من كانت ؟؟

لقد حكى ابن أبي الحديد المعتزلي عن شيخه أبي يعقوب يوسف بن إسماعيل اللمعاني حول ماكان بين أميرالمؤمنين وعائشة، جاء فيه:

«فلمّا ثقل رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم في مرضه، أنفذ جيش أُسامة وجعل فيه أبابكر وغيره من أعلام المهاجرين والأنصار، فكان عليٌّ عليه السّلام حينئذٍ بوصوله إلى الأمر ـ إن حدث برسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم حدث ـ أوثق، وتغلّب علىٰ ظنّه أنّ المدينة ـ

(١) جواهر العقدين: ٢٣٤.

لو مات ـ لخلت من منازع ينازعه الأمر بالكليّة، فيأخذه صفواً عفواً، وتتمّ له البيعة فلا يتهيّأ فسخها لو رام ضدٌّ منازعته عليها. فكان من عود أبي بكر من جيش أُسامة ـ بإرسالها إليه وإعلامه بأنّ رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم يموت ـ ما كان، ومن حديث الصلاة بالناس ما عرف.

فنسب عليٌّ عليه السلام إلى عائشة أنّها أمرت بلالاً ـ مولى أبيها ـ أن يأمره فليصلّ بالناس، لأنّ رسول الله كما روي قال: «ليصلّ بهم أحدهم» ولم يعيّن، وكانت صلاة الصبح، فخرج رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم وهو في آخر رمق يتهادى بين عليّ والفضل بن العبّاس، حتّى قام في المحراب ـ كما ورد في الخبر ـ ثمّ دخل فمات ارتفاع الضحى، فجعل يوم صلاته حجّةً في صرف الأمر إليه وقال: أيّكم يطيب نفساً أن يتقدّم قدمين قدّمهما رسول الله في الصلاة؟! ولم يحملوا خروج رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم إلى الصلاة لصرفه عنها، بل لمحافظته علىٰ الصلاة مهما أمكن.

فبويع علىٰ هذه النكتة التي اتهمها عليٌّ عليه السلام علىٰ أنّها ابتدأت منها.

وكان عليٌّ عليه السّلام يذكر هذا لأصحابه في خلواته كثيراً

ويقول: إنّه لم يقل صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم إنّكنّ لصويحبات يوسف إلاّ إنكاراً لهذه الحال وغضباً منها، لأنّها وحفصة تبادرتا إلى تعيين أبويهما، وإنّه استدركها بخروجه وصرفه عن المحراب، فلم يُجد ذلك ولا أثّر، مع قوّة الداعي الذي كان يدعو إلى أبي بكر ويمهّد له قاعدة الأمر، وتقرّر حاله في نفوس الناس ومن اتّبعه علىٰ ذلك من أعيان المهاجرين والأنصار.

فقلت له رحمه الله: أفتقول أنت إنّ عائشة عيّنت أباها للصلاة ورسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم لم يعيّنه ؟!

فقال: أمّا أنا فلا أقول ذلك، ولكنّ عليّاً كان يقوله، وتكليفي غير تكليفه، كان حاضراً ولم أكن حاضراً »[1].

نتيجة البحث

لقد استعرضنا أهمّ أحاديث القضيّة، وأصحّها، ونظرنا أوّلاً في أسانيدها، فلم نجد حديثاً منها يمكن قبوله والركون إليه في مثل هذه القضية، فرواة الأحاديث بين «ضعيف» و«مدلّس» و«ناصبيّ» و«عثماني» و«خارجيّ» وكونها في الصحاح لا يجدي، وتلقّي الكلّ

---

(١) شرح نهج البلاغة ٩/١٩٦ـ١٩٨.

إياها بالقبول لا ينفع.

ثمّ نظرنا في متونها ومداليلها بغضّ النظر عن أسانيدها، فوجدناها متناقضة متضاربةً يكذّب بعضها بعضاً بحيث لا يمكن الجمع بينها بوجه بعد أن كانت القضيّة واحدة، كما نصّ عليه الشافعي ومن قال بقوله من أعلام الفقه والحديث.

ثمّ رأينا أنّ الأدلّة والشواهد الخارجيّة القويمة تؤكّد علىٰ استحالة أن يكون النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم هو الذي أمر أبابكر بالصلاة في مقامه.

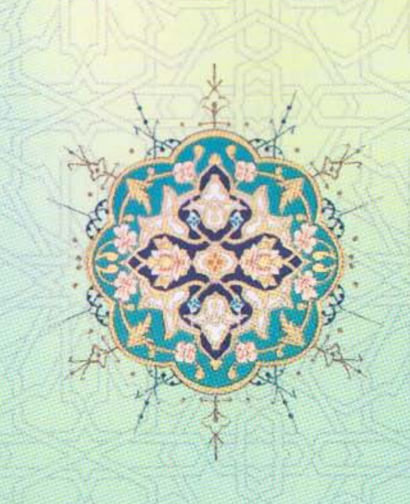
وخلاصة الأمر الواقع: أنّ النبي لمّا مرض كان أبوبكر غائباً بأمر النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم حيث كان مع أُسامة بن زيد في جيشه، وكان النبي يصلّي بالمسلمين بنفسه، حتّى إذا كانت الصلاة الأخيرة حيث غلبه الضعف واشتدّ به المرض طلب عليّاً فلم يُدعَ له، فأمر بأن يصلّي بالناس الموجودين بالمدينة أحدهم، فلمّا التفت بأنّ المصلّي بهم أبوبكر خرج معتمداً علىٰ أميرالمؤمنين ورجل آخر ـ وهو في آخر رمقٍ من حياته ـ لأن يصرفه عن المحراب ويصلّي بالمسلمين بنفسه ـ لا أن يقتدي بأبي بكر! ـ وليعلن بأنّ صلاته لم تكن بأمرٍ منه، بل من غيره!!.

ثمّ رأينا أنّ أميرالمؤمنين عليه السّلام كان يرىٰ أنّ الأمر كـان مـن عائشة و« عليٌّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ »[1].

وصلّى الله علىٰ رسوله الأمين، وعلىٰ عليّ أميرالمؤمنين والأئمّة المعصومين، والحمد لله ربّ العالمين.

(١) كما في الأحاديث الكثيرة المتفق عليها بين المسلمين، أنظر من مصادر أهل السُنّة المعتبرة: سنن الترمذي ٣٩٨/٥ كتاب المناقب باب مناقب عليّ بن أبي طالب الرقم ٣٧٣٤، المستدرك ١٣٥/٣ كتاب معرفة الصحابة مناقب أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب الرقم ٤٦٢٩، جامع الأُصول ١٧٦/٧ كتاب الفضائل والمناقب باب فضائل الصحابة مجملاً الرقم ٦٣٨٢، مجمع الزوائد ٤٧٦/٧ـ٤٧٧ كتاب الفتن باب فيما كان في الجمل وصفين وغيرهما الرقم ١٢٠٣١، تاريخ بغداد ٣٢٢/١٤ وغيرها.

المحتويات





قم، شارع صفائية، فرع ٣٤ فرع ايراني زاده، رقم ٣٣
فكس: ٠٢٥١-٧٧٤٠٨٩٥، تليفون: ٠٢٥١-٧٧٣٩٩٦٨
قسم النشر والتوزيع: تليفكس: ٧٧٤٢٢١٢